

فِي شَرح

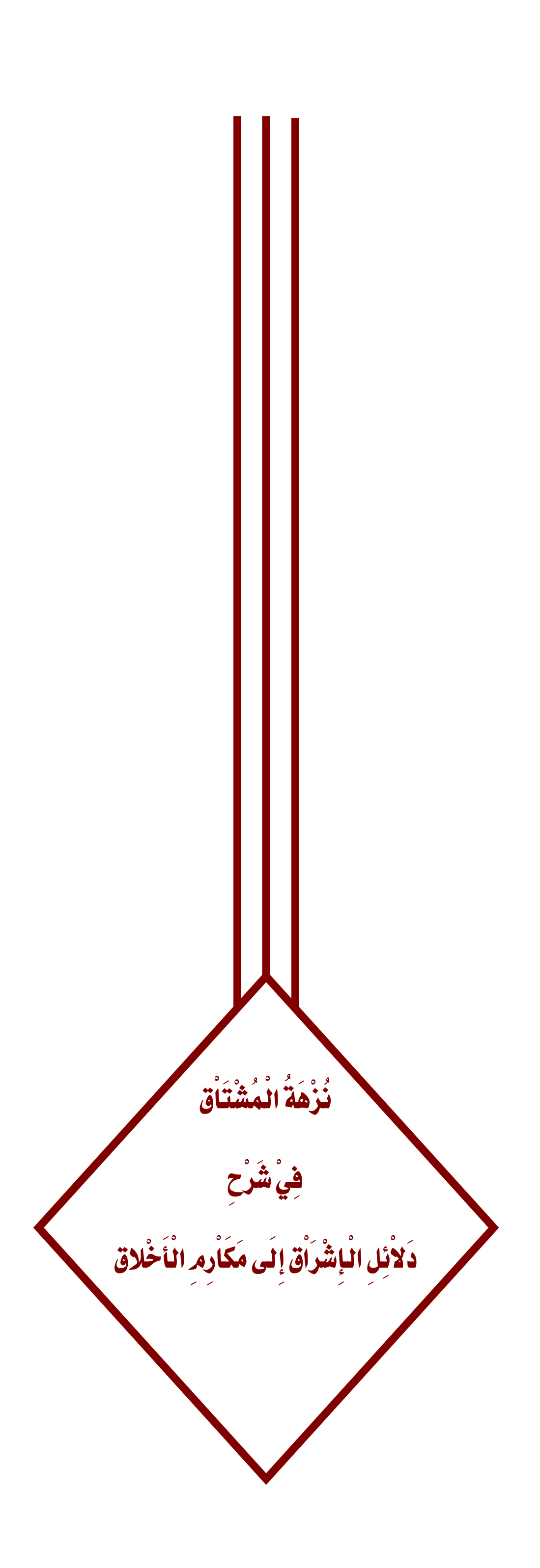
دَلائِلِ الإِشْرَاقِ إِلى مَكارِمِ الأَخْلَاق

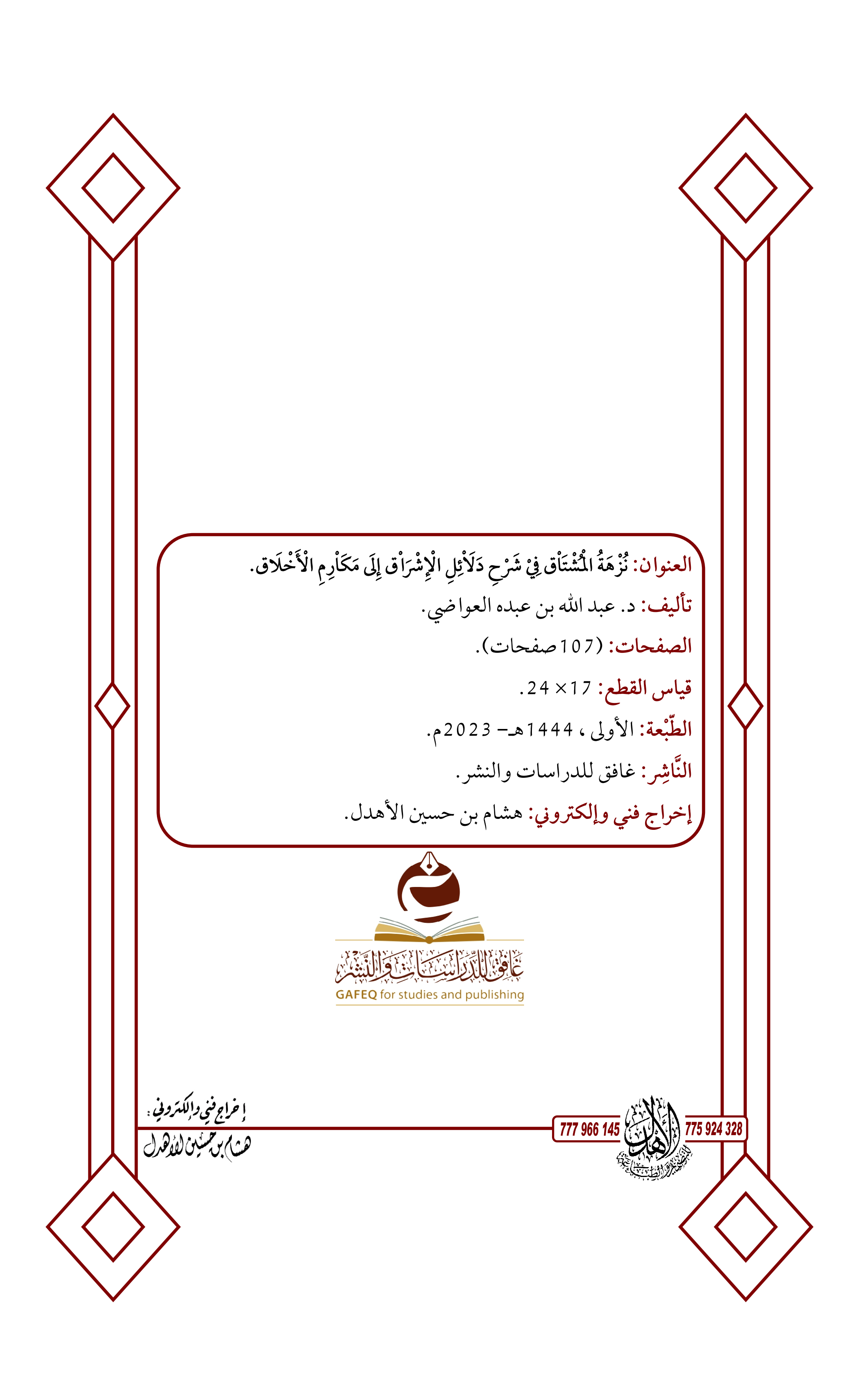


تَأْلِيفُ

د. عَبْدُ اللهِ بن عَبْدِهِ نُعْمَانَ العَوَاضِي

نُزهَةُ المُشتَاق فِي شَرح دَلائِلِ الإِشرَاقِ إِلى مَكَارِمِ الأَخلَاق
تأليف: د. عبد اللهِ بن عبدهِ العواضي


نُزْهَةُ الْمُشْتَاقِ
فِيْ شَرْحِ
دَلائِلِ الْإِشْرَاقِ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلاقِ



العنوان: نُزْهَةُ الْمُشْتَاْق فِيْ شَرْحِ دَلَاْئِلِ الْإِشْرَاْق إِلَى مَكَاْرِمِ الْأَخْلَاْق.

تأليف: د. عبد الله بن عبده العواضي.

الصفحات: (107 صفحات).

قياس القطع: 17× 24.

الطَّبْعة: الأولى ، 1444هـ- 2023م.

النَّاشِر: غافق للدراسات والنشر.

إخراج فني وإلكتروني: هشام بن حسين الأهدل.



نُزْهَةُ الْمُشْتَاق

فِيْ شَرْحِ

دَلائِلِ الإِشْرَاْق إِلَى مَكَاْرِمِ الأَخْلاق

تأليف

د. عبد الله بن عبده العواضي






بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله الواحد الخلاق، الكريم الوهّاب الرزاق، والصلاة والسلام على مَن بُعث لإتمام مكارم الأخلاق، الذي بلغ في حسن أخلاقه الغاية التي تشرئب إليها الأعناق، وتتعطر بدماثة خلقه الحياة في جميع الآفاق، صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه الذين ساروا على منواله، وسلّم تسليما.

أما بعد:

فإن الأخلاق الحميدة راحة للإنسان، وزينة له في كل ميدان، ونور يهديه إلى حَسن الأفعال، وجميل الأقوال، من تجمّل بها كثر مصافوه وخلّانه، وأحبه أقاربه وجيرانه، وسوّدوه بغير تاج، وأشاروا إليه بالخير في كل منهاج.

وحاجة الإنسان إلى مكارم الأخلاق حاجة دينية، وحاجة دنيوية؛ فهي حاجة دينية لأنها من مأمورات الشريعة التي كثر الحث على التحلي بها، والتخلي عن أضدادها، وبذلك يُنال رضوانُ الله والظفر بثوابه، قال تعالى في أجمع آية لمكارم الأخلاق: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[الأعراف:199].

وقال في وصف أسمى الخلق خلقا، وأزكاهم نفسا: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ**

عَظِيمٍ﴾[القلم:4]؛ ثناءً عليه، ودعوةً للاقتداء به عليه الصلاة والسلام.

وهي حاجة دنيوية؛ لكونها تحبِّب الإنسان إلى بني جنسه، وتدفع عنه شرورهم، وتجعله محل مدحهم ومحبتهم.

ولما كان الأمر كذلك احتاج الناس إلى تذكير بهذه الخصلة الإنسانية السامية، وهذه الشعيرة الدينية العالية، وتربية الناشئة على ذلك منذ الصغر؛ حتى يشبوا عليها.

ومن طرق هذا التذكير: النظم، الذي يدعو إلى التمسك بالأخلاق الحميدة في قالب شعري.

وقد كنت نظمتُ منظومة في الأخلاق الحسنة في سنة:(1427هـ) **عنوانها:** **"دلائل الإشراق إلى مكارم الأخلاق"**. احتوت على ستة أبيات ومائة(106)، مكونة من مقدمة وخاتمة، وثلاثة فصول: الفصل الأول: أخلاق الإنسان مع الله تعالى، والفصل الثاني: أخلاق الإنسان مع نفسه، والفصل الثالث: أخلاق الإنسان مع الناس.

فعزمت -هذه الأيام- على شرحها شرحًا موجزاً يفك مبانيها، ويجلي معانيها، فقمت بجعل الأبيات تحت عناوين حسب الأخلاق التي تتضمنها، ثم شرحت البيت أو الأبيات في كل خلق مبينًا معاني الألفاظ الغريبة إذا وجدت، ثم أذكر معناه العام. وأكتفي بذلك طلبًا للإيجاز.

وأما إطناب الكلام عن كل خلق فأحيل على كتابي" **أخلاقنا**" فهو الشرح التفصيلي لما تضمنته هذه المنظومة من الأخلاق الحسنة.

فأسأل الله تعالى لي وللقارئين أن يهدينا لأحسن الأخلاق، وأن يصرف عنا سفاسفها، وأن يسدد هذا العمل ويبارك فيه، وينفع به؛ إنه جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: د. عبد الله بن عبده العواضي

19/ 1/ 1444هـ، 17/ 8/ 2022م.

Moh3517@gmail.com



بسم الرحمن الرحيم

دلائل الإشراق إلى مكارم الأخلاق

المقدمة

1- الحَمْــدُ للهِ ذي الإِنعَــامِ لــمْ يَــزَلِ ... حَمْداً يَدومُ مَدَى البُكْراتِ والأُصُلِ

2- وأســأَلُ اللهَ مِــن آثــارِ نعمتِــهِ ... عَوْنَـاً يُنجِّـيْ مِـن الـزلّاتِ والخَطَـلِ

3- ثُـمّ الـصّلاةُ علـى مَـن جاءَ يُرشِـدُنا ... إلـى المعـاليْ علـى التفـصيلِ والجُمَـلِ

4- محمّــدٍ هَــذَّبَ الــرحمنُ سِــيرَتَهُ ... فأصــبحتْ قُــدوةً في أقــومِ الــسُّبُلِ

5- سَـماْ علـى الخَلْق في أخلاقِـهِ وعَـلا ... بِطِيْــبِ معْــشَرِهِ في كُــلِّ مُحتفَــلِ

6- زَيْــنُ الفتــى أَدَبٌ يَزهُــوْ بِحُلّتــهِ ... يُجَـلُّ حِـينَ يُـرَى في الـنفسِ والمُقَـلِ

7- نَـسِيمُ أخلاقِـهِ تَمـضِيْ الـشِّفاهُ بِـهِ ... تَحكِــيْ مَناقبَــهُ بالــشُّكرِ والجَــذَلِ

8- وذيْ جـواهرُ في الأخـلاقِ أَنظِمُهـا ... عِقْـداً يَـزينُ بمـا تَحْـوِيْ مِـنَ الحُلَـلِ

9- نَظمتُها ناصـحـًا نفسيْ ومَن بلغتْ ... فإنّهــا خُلُــقُ الهــاديْ مِــنَ الرُّسُــلِ

الفصل الأول: أخلاق الإنسان مع الله تعالى

10- أخلِصْ لربِّكَ تخْلُصْ مِن لظى سَقرٍ ... ولا تُــراءِ تَفُــزْ بالــذِّكْرِ والأَمــلِ

11- واطلُبْ وِسَامَ التُّقى مِن فعْلِ طاعتِهِ ... وتَـرْكِ مـا يُغضِبُ البـاريْ مِـنَ العَمـلِ

12- ففِـي ظِـلالِ التُّقـى بَـرْدُ الحيـاةِ بَـدَا ... يُنـسِيْ الفَتَـى وهَـجَ الأحـزانِ والعِلَـلِ

13- واخشَ الإلهَ وخَفْ سُوءَ الخِتامِ إذا   خطَّ المَشِيبُ على فَوْدَيْكَ والقُذُلِ

14- واعلمْ بأنَّ إلهَ الكونِ يَرقُبُنا   فراقبِ اللهَ قبلَ الخلْقِ وامتثِلِ

15- واحذرْ يَراكَ على العِصيانِ مُنهمِكًا   فإنْ رآكَ فما أدناكَ مِن رجُلِ!

16- أحسِنْ بربِّكَ ظنًّا ما حَيِيْتَ فمَا   أحلى الحياةَ بِحُسْنِ الظّنِ والفَألِ

17- أَحبَّ ربَّك حُبًّا لا يُجَاوِزُهُ   حُبٌّ سِواه فلولا الحُبُّ لمْ نَصِلِ

18- فإنْ صدقتَ لهُ في الحُبِّ كنتَ على   طاعاتِه أَبداً مِن دونما مَللِ

19- وعلِّقِ القَلبَ بالموْلى وخُذْ سببًا   إلى النجاحِ ولُذْ باللهِ واتّكِلِ

20- واذكُرْ إلهَكَ في سِرٍّ وفي عَلنٍ   فذِكْرُهُ في لظَى الَّلأْواءِ كالظُلَلِ

21- واجعلْ لسانَكَ رطْبًا منهُ في لَهَجٍ   واحذرْ مُخادنَةَ التفريطِ والكَسلِ

22- وادعُ الكريمَ إذا الأسحارُ قائمةٌ   ومُدَّ كفّاً إلى ربِّ السماْ وسَلِ

23- واطلُبْ مِن اللهِ عونًا في الأموْرِ ولا   تَركنْ إلى النفسِ دونَ اللهِ وابتهلِ

24- ارجُ الحليمَ ولا تَقنطْ إذا برقَتْ   سُحْبُ المنونِ برعدِ الموتِ والوجَلِ

25- متى عَصيتَ فتُبْ للهِ مُعترفًا   بسُوءِ ما كَسبتْ كفّاكَ من زَللِ

26- واستغفرِ اللهَ إنْ أحدثتَ معصيةً   وإن ذكرتَ دُجى أيامِّكَ الأُوَلِ

27- واشكرْ على مِننٍ أُوليتَ نِعمتَها   وعجِّلِ الشُكرَ للنُعمى بلا مَهَلِ

28- لا يَشكرُ الفضلَ للمولى ومَن بذلوا   إلا كريمٌ سَماْ في الخُلْقِ والعملِ

الفصل الثاني: أخلاق الإنسان مع نفسه

29- اصبرْ على ضُرِّ ما يَلقاكَ مِن نُوَبٍ ... فليسَ مِن هَربٍ عنها ولا بَدَلِ

30- لا تَجزعنَّ ولا تسخطْ لنائبةٍ ... فالصَبرُ غايتُهُ أحلى مِنَ العَسلِ

31- والنفْسُ إن صُنتَها عن كُلِّ مثْلَبةٍ ... تَقُدْكَ للخيرِ بعدَ الحَبْسِ والكَبَلِ

32- إنّ التفاؤلَ في البَلوى يُهوِّنُها ... واليأسُ فيها دليلُ الضَّعفِ والخَبَلِ

33- كُنْ في الأُمورِ شُجَاْعًا لا تُزَعْزِعُهُ ... رِيْحُ المكارهِ والتهديدِ والوَجَلِ

34- وكُنْ غيوراً على النِّسوانِ ذا شَمَمٍ ... فلنْ يُنالَ حمىً في غيرةِ الرّجُلِ

35- في عِفّةِ المرءِ إيذانٌ برفعتِهِ ... ومَعْلَمٌ مُشرِقٌ في الناسِ لم يَزلِ

36- كمْ خاسرينَ لذيذَ العَيْشِ إذْ هَرقُوا ... ماءَ العفافِ هوىً في أَنتنِ السُّبُلِ

37- وكُنْ نظيفًا نَقيَّ القلبِ مِن خَمَمٍ ... ومِن نفاقٍ ومن شِركٍ ومن دخَلِ

38- مُطهِّراً جسداً يَسْبيْ تأنُّقُه ... عيونَ مَن نظروا في شخصِهِ الخَضِلِ

39- اقنَعْ برزقِكَ في الدنيا تَجدْهُ غِنَى ... وليس في طمَعٍ يَزدادُ أو حِيَلِ

40- يحيا القَنوعُ سعيداً آمنًا فرِحًا ... وطامعُ الناسِ في حُزْنٍ وفي وجلِ

41- والعاقلُ الفردُ في الأحكامِ مُتكِئٌ ... على التَثبُّتِ دومًا غيرُ مُنتقِلِ

42- لسانُه عن حِجا يَحكيْ وعن بَصرٍ ... فإنْ نَبَاْ عنهُ لم يَجْزِمْ ولمْ يَقُلِ

43- أكرِمْ بمَن رَسمُوا الإتقانَ مُتَّسِقًا ... في لوحةٍ أَشرقتْ في الجِدِّ والعملِ

44- تَحكيْ صنائعُهمْ أخلاقَ أنفُسِهمْ ... ما أجملَ الصُّنعَ بالإتقانِ في الرجُلِ!

45- وكُنْ على هِمَمٍ شَمّاْ تُعانِقُها ... ففِي مَطالِعِها إشراقةُ الأملِ

46- واسلُكْ سَبيلَ الهُدَى تَلقَ الفلاحَ بِهِ   ودعْ سـواهُ مِـن الأسـبابِ والسُّبُلِ

47- والبسْ لِباسَ الحَيا وافخَرْ بزينتِهِ   وإنْ رَماكَ الورَى بالضَّعْفِ والوَكَلِ

48- إنَّ الحيـاءَ مِـن الإيمـانِ مَطلعُـهُ   والخيرُ مِن صَوْبِهِ كالعارضِ الهَطِلِ

49- وازهَدْ على مَركبِ الدنيا ولو رَحلَتْ   عنكَ اللذائذُ لا تَنْدُبْ على الطَّلَلِ

50- وعِشْ حياتَك في الدنيا على وَرَعٍ   وزُمَّ نفْسًا بحـزمٍ منكَ مُتَّصِلِ

الفصل الثالث: أخلاق الإنسان مع الناس

51- لا تَعصِ أُمًّا رعتْ ضَعفَ الصِّبَا وأبًا   فالبِرُّ مِن أعظمِ الطاعاتِ في المِلَلِ

52- إنَّ العقوقَ ظلامٌ في الحياةِ بِهِ   كوارثٌ تُهلِكُ الباغيْ على عَجَلِ

53- صِلْ يا فتى رَحِمًا أوصى الإلهُ بِها   واحذرْ لقاءَ الذي أوصى ولَمْ تَصِلِ

54- يزيدُك الوصلُ رِزقًا في الحياةِ فإنْ   آذتْكَ لا يُسلمَنْك الشَّرُّ للمَلَلِ

55- أحسِنْ إلى الجارِ مهما كانَ مَذهبُهُ   واحمِلْ على العفوِ ما يأتيكَ مِنْ زَلَلِ

57- واخترْ لنفسِكَ قبلَ الدارِ جيرتَها   فإنْ بُلِيتَ بجارِ السُّوءِ فاعتزِلِ

58- أحسِنْ إلى الناسِ تَكسبْ وُدَّهمْ وإذا   آذوكَ يومًا فلا تظلِمْ ولا تَمِلِ

59- آخِ إخاءَ صفاءٍ لا تُكدِّرُهُ   دنيا تُرامُ فهذا وُدُّ ذي العِلَلِ

60- واحفظْ مودَّةَ مَن تصفوْ مودّتُهُ   وجانبِ الرّذْلَ في الأخلاقِ والعملِ

61- أصلِحْ فسادَ أمورِ الناسِ حين تَرَى   حبْلَ الوئامِ تَبدَّى غيرَ مُتّصِلِ

62- واغْزُ القلوبَ بوجهٍ باسمٍ أَلِقٍ   إنَّ البشاشةَ لِلآتينَ كالقُبَلِ

63- أفشِ السَّلامَ على الإخوانِ إنَّ بِهِ ... قطْعَ التباغضِ والهُجرانِ والدَّغَلِ

64- عليكَ بالنَّهي عِن سُوءِ الفِعالِ إذا ... رأيتَ ذاكَ بِلا ظَنٍّ ولا جَهَلِ

65- والأمرُ بالعُرْفِ حَتمٌ لازمٌ ومتَى ... لمْ يُستجَبْ فإلى مولى الورى فَكِلِ

66- لا تَطلُبَنَّ عُيوبًا كي تُبعثِرَها ... واسترْ على الناسِ فِعلَ القصدِ والخَطَلِ

67- إلا إذا كان في الإشهارِ مَصلحةٌ ... فليسَ في فضحِهِ شيءٌ مِن العَذَلِ

68- واحفظْ لسانَك لا تؤذِ الأنامَ بِهِ ... كمّ مِن لسانٍ أَتَى بالحادثِ الجَلَلِ

69- فالقولُ إن ينفعِ الإنسانَ قُلْتَ بِهِ ... وإنْ رأيتَ بِه ضُرّاً فلا تَقُلِ

70- والصَّمتُ أبلغُ مِن نطقٍ إذا ظهرتْ ... للقولِ عاقبةٌ تُفضِيْ إلى الزَّلَلِ

71- فإنْ رأيتَ بقولٍ سُوءَ خاتمةٍ ... فاحبسْ لسانَكَ في فَقْميكَ واعْتقِلِ

72- تواضعِ اليومَ لا تفخرْ بمنقَبةٍ ... خصَّتْكَ بالفضلِ دون الناس واعتدِلِ

73- أهلُ التواضعِ أَسْمَى الناسِ مَرْتبةً ... ولَابِسُ الكِبْرِ في دُوْنٍ وفي سَفَلِ

74- احفظْ عيونَك أنْ تَطْغَى بِنظرتِها ... إلى الحرامِ وصُنْ بالدِّين والخَجَلِ

75- كمْ نظرةٍ أنبتتْ همًّا ومَحزَنةً ... وأصبحَ القلبُ منها غيرَ مُندَمِلِ

76- وإنْ رأيتَ وفودَ الناسِ مُقبلةً ... على الدنايا فَلُذْ بالعِزِّ وانتقِلِ

77- كُنْ منفقًا إذْ ترى في الناسِ مَسغبَةً ... وهاجراً دارةَ الإمساكِ والبَخَلِ

78- لا تَحبسِ المالَ عن حقٍّ فتُحْرَمَهُ ... بوارثٍ أو نُزولِ المحقِ والأجَلِ

79- جُدْ بالقليلِ إذا أعيتْكَ كَثْرتُهُ ... فكمْ قليلٍ غدا كالسَّيلِ مِن جبَلِ

80 –عليكَ بالصِّدقِ في قولٍ وفي عمَلِ لا تكذِبنْ أبداً في الجِدِّ والهَزَلِ

81 –واحذرْ مَجالسَ مَن يَحياْ على دجَلِ فالجُرْبُ في العِيرِ أَعدتْ سائرَ الإبلِ

82 –فرِّجْ همومَ ذويْ الآلامِ مُحتسِبًا على المليكِ ثوابَ الفضلِ والعملِ

83 –اقضِ الدُّيونَ وأفرِحْ كلَّ أرملةٍ داوِ المريضَ وخفِّفْ حِدَّةَ الوجَلِ

84 –أدِّ الأمانةَ واحذرْ أنْ تخونَ ففي خيانةِ الحقِّ سوءُ الظنِّ بالرجُلِ

85 –إنَّ الأمينَ إذا ما عاشَ تَحمَدُهُ وإنْ يمُتْ لُسُنٌ في كُلِّ محتَفَلِ

86 –فِ فالوفاءُ لأهلِ العهدِ مأْثُرةٌ وشِيمةٌ مِن صفاتِ السَّادةِ الأُوَلِ

87 –ولا تخُنْ أحداً عهداً عقدتَ لهُ فنقضُكَ العهدَ لا يُنجِيْكَ مِن عَذَلِ

88 –وابخلْ إذا أحدٌ أعطاكَ مَخبَرَهُ فالبُخلُ يُحمدُ بالأسرارِ فيْ المِللِ

89 –أعِنْ بلا مِنَّةٍ مَن يستعينُ إذا كانَ التعاونُ لا يُودِي إلى خَطَلِ

90 –واستأذنِ الناسَ إن أقبلتَ نحوَهمُ إلى البيوتِ وإنْ ردُّوكَ فارتحِلِ

91 – راعِ المشاعرَ واجبُرْ كَسْرَ أفئدةٍ كمْ كِلْمَةٍ رُمِيتْ في القلبِ كالأَسَلِ

92 –إنِّي رأيتُ حليمَ الناسِ ذا سَدَدٍ ومَن يَطِشْ سعيُهُ في حَمْأةِ الخَلَلِ

93 –والصفحُ والعفوُ عن أهلِ الخطأْ كَرَمٌ والكَظْمُ للغَيْظِ خُلْقُ السيّدِ البطلِ

94 –والأخذُ بالحقِّ حقٌّ ليس معْتَبَةً لكنما الفضلُ للعافينَ عن زلَلِ

95 –ما أجملَ العيشَ بالإيثارِ تَسكبُهُ كَفُّ الكرامِ على العافينَ كالعَسلِ

96 –فآثرِ الناسَ بالإنعامِ ما وجدَتْ يَداكَ مِن نِعَمِ الدنيا بلا مَللِ

97- وارحمْ سِواكَ ففي رُحمى الورى جَذَلٌ | يَهمِي عليكَ وما أحلاهُ من جَذلِ!

98- والعدْلُ مِن شِيمِ الأحرارِ كم ذَهبتْ | فينا الحقوقُ بكفِّ الظالمِ العَجِلِ

99- واقبلْ نصيحةَ مَن يدعو إلى رَشَدٍ | فالكِبْرُ يُرديْ الفَتَى في مَهلكٍ جَلَلِ

الخاتمة

100- مَحضتُكَ النُّصحَ في خُلْقٍ لِتلزمَهُ | وهذه منكَ تغدو مُنتهَى أَملي

101- وقد أتتْ مِن بسيطِ الشِّعرِ رافلةً | فانظُرْ إليها بِعينِ المُغْرَمِ الغَزِلِ

102- كَسَوْتُها بِحُلَى الإتقانِ أحْسِبُني | مُستغفِراً مِن ورودِ النقصِ والخَللِ

103- فإنْ وجدتَ بها عيباً فمعذرةً | وداوِهِ بانتزاعِ العَيْبِ والدَّخلِ

104- والحمدُ للهِ بعدَ النظمِ خاتمةٌ | هو المُعينُ ولولا العونُ لمْ أَصِلِ

105- ثم الصلاةُ على تاجِ الهُداةِ إلى | مشارعِ الخيرِ مِن قولٍ ومن عملِ

106- والآلِ والصحْبِ والأتباعِ أجمعِهِمْ | ما أشرَقَ الصُّبحُ في سَهْلٍ وفي جَبَلِ



الشرح

قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم): ابتدئت المنظومة بالبسملة؛ اقتداء بالقرآن الكريم الذي بُدء ببسم الله الرحمن الرحيم، وبفعل رسول الله ﷺ الذي بدأ بها في بعض رسائله، ومنها: رسالته إلى هرقل، ففي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (...ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: **(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى..)**)[1].

والبسملة مصدر بسمل يبسمل بسملة، وهو من الأفعال المنحوتة، أي: المركبة من كلمتين؛ كـ حمدل، وحوقل، وحسبل، وغيرها.

قال عمر بن أبي ربيعة:

لَقَدْ بَسْمَلَتْ لَيْلَى غَدَاةَ لَقِيتُهَا ... فَيَا حَبَّذَا ذَاكَ الْحَبِيبُ الْمُبَسْمِلُ[2][3]

والباء في" بسم الله" للاستعانة، فحين يسمي الإنسان في ابتداء عمل يريد بذلك أن يعينه الله عليه؛ لأن من اتكل على جهده، وغفل عن عون ربه خُذِل.

قال الشاعر:

---

(1) رواه البخاري (7).

(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة (498).

(3) ينظر: تاج العروس (28/ 86).

إِذا لـم يكُـن عَـوْنٌ مِـنَ الله للفَتـى ... فَـأَكثَرُ مَـا يَجنـي عليـهِ اجتِهـادُهُ[1]

والباء متعلق بمحذوف فعل أو اسم يناسب كل حدث تقال التسمية فيه؛ فمن قال: بسم الله في النظم كان التقدير: بسم الله أنظم أو نظمي، ومن قالها عند الكتابة كان التقدير: بسم الله أكتب أو كتابتي.

وتقدير الفعل متأخراً أولى من تقديره متقدمًا؛ تعظيمًا لله بتقديم اسمه، ولإفادة الحصر والقصر، فيكون المعنى: بسم الله لا بسم غيره.

واختُلِف في أصل اشتقاق الاسم: فقال البصريون: إنه من السمو؛ لسموه على قسيميه: الفعل والحرف؛ لأنه يخُبر به وعنه وليس الفعل والحرف كذلك، ولاستغنائه عنهما، وقال الكوفيون: إنه من السِّمة؛ لكونه علامة يعرف بها المسمّى.

وكلاهما حسن من جهة المعنى، إلّا أنّ اللفظ يشهد مع البصريين؛ ألا ترى أنّك تقول: "أَسْمَيْتُه"، إذا دعوتَه باسمه، أو جعلتَ له اسمًا، والأصلُ "أسْمَوْتُه"، فقلبوا الواو ياءً؛ لوقوعها رابعةً، على حدِّ "أَدْعَيْتُ" و" أَغْزَيْتُ"؛ ولو كان من "السمة" لقيل: "أَوْسَمْتُه"؛ لأنّ لام "السُّمُوّ" واوٌ تكون آخرًا، وفاء "السمة" واوٌ تكون أوّلاً[2].

واختلاف أهل العلم في لفظ الجلالة: هل هو جامد، أو مشتق؟

---

(1) الحماسة المغربية (2/ 1238).

(2) ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش (1/ 83).

والراجح أنه مشتق من أَلَهَ يأله ألوهة وإلاهة بمعنى: عَبد[1].

وأما الرحمن الرحيم، فهما اسمان كريمان من أسماء الله تعالى يتفقان في كونهما دالين على صفة رحمة الله تعالى، **ويفترقان في أمور:**

1- **الرحيم** يثنّى ويؤنّث ويُجمع، فيقال: رحيمان ورحيمة ورحماء ورحيمات، والرحمن لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث.

2-**رحمن:** على وزن فعلان، وهو من الأوزان الدالة على الكثرة والامتلاء، ورحيم على وزن فعيل، وهو من أوزان المبالغة، ولكن لا يرقى إلى وزن فعلان، ورحمن بُنِيَ على خمسة أحرف، ورحيم على أربعة، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، ومن ثَم قيل: إن الرحمن يدل على الرحمة الواسعة في الدنيا والآخرة، الشاملة لجميع الخلق، والرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾[الأحزاب:43]، وقال: ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[التوبة:128]. والله أعلم.

❊ ❊ ❊

قوله: (دلائل الإشراق إلى مكارم الأخلاق): هذا عنوان المنظومة.

فالدلائل جمع دلالة، وهي: الإِرْشَاد، قال تعالى: ﴿**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ**﴾[طه:40].

---

(1) ينظر: شرح العقيدة الواسطية، لهراس (ص: 47).

والإشراق: مصدر أشرق يشرق إشراقًا بمعنى: أضاء. والمراد به: الإشراق المعنوي الذي هو:

انبعاث نور إِلَى الذِّهْن تتمّ بِهِ الْمعرفَة، وهو من آثار العلوم والمعارف.

وقوله: (مكارم) جمع مكرمة، وهي: فعل الكرم والخير. قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارِمَ الْأَخْلَاقِ)[1].

وقال أبو الطيب:

عَلَى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتِي العَزائِمُ … وَتَأتِي عَلَى قَدرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ[2]

* * *

1- الحَمْدُ للهِ ذي الإنعَامِ لَمْ يَزَلِ … حَمْداً يَدومُ مَدَى البُكْراتِ والأُصُلِ

(الحمد) لغة: الثناء بالجميل. قال الشاعر:

فألفيته فَيْضًا كثيراً عطاؤُهُ … جواداً متى يُذْكَر له الحمدُ يَزْدَدِ

معناه: متى يُذكر له الثناء[3].

واصطلاحًا: الوصف بالجميل الاختياري على قصد التعظيم[4].

---

(1) رواه البيهقي في الكبرى(20782)، والبزار(8949) وهو صحيح.

(2) ديوان المتنبي (ص: 131).

(3) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (2/ 79)، المعجم الوسيط (1/ 196).

(4) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 712)،

وقيد (الاختياري) لإخراج الجميل القهري؛ فقد يثنى على المرء لكونه أسدى معروفًا ولكنه مقهور على إسدائه[1].

(الإنعام): إيصال المنعم إحسانه إلى غيره، ولا يقال إلا إذا كان الواصل إليه ناطقًا، فلا يقال: أنعم زيد على فرسه[2].

(لَمْ يَزَلِ): أي: أن حمده باقٍ مستمر بقاء نعمه التي تنهمر ولا تنقطع. و" لا يزال" من أفعال الاستمرار والثبات.

وأصل **(لم يزل)**: لم يزاْلْ، فالتقى ساكنان-الألف واللام- فحذف أولهما؛ لكونه أضعفهما-؛ تلخصًا من التقاء الساكنين. وإعراب (يزل) هنا: فعل مضارع مجزوم بـلم وعلامة جزمة السكون المقدر منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة التخلص من التقاء الساكنين.

(مدى): طول **(الْبُكْراتِ)**: جمع بُكرة، وهي أول النَّهَار إِلَى طُلُوع الشَّمْس.

(والأُصُلِ): جمع أصيل، وهو: الْوَقْت حِين تصفر الشَّمْس لمغربها.

ومعنى البيت: الحمد الكامل أو المستغرق لله تعالى الدائم في كل وقت، الذي مازال إنعامه سبحانه مستمراً على عباده، فاستمر الحمد المستحق له باستمرار نعمه.

---

(1) ينظر: شرح نظم قواعد الإعراب (1/ 4) للحازمي.

(2) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 65)، المفردات في غريب القرآن (ص: 815).

وقد بدأ الناظم المنظومة بالبسملة ثم الحمدلة؛ جمعًا بين الابتداء الحقيقي والابتداء الإضافي (أو المعنوي أو الحكمي).

فالابتداء الحقيقي هو: الذي لم يسبق بشيء، وهو هنا البسملة.

والابتداء الإضافي هو: ما كان أولاً باعتبار ما بعده، فالحمد لله هنا باعتبار ما بعده ابتداء.

و(ال) في الحمد، إما:

أ- للاستغراق.

ومعناه: الشمول والإحاطة لجميع الأفراد، بحيث لا يخرج عنه شيء. والمعنى هنا: الحمد الذي يتناول جميع أنواع الحمد.

وال الاستغراقية: هي الداخلة على واحد من الجنس لإفادة الاستغراق والشمول، وعلامتها: صحة وقوع (كل) موقعها، وصحة الاستثناء من مدخولها، قال تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[العصر: 1-3].

وهي إما لاستغراق الأفراد كقوله تعالى: ﴿**وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾ أي: كل فرد من أفراد الإنسان ضعيف.

وإما لاستغراق صفات الأفراد، نحو: خالد الرجل. أي: الجامع لصفات الرجال المحمودة.

ب-وإما للجنس.

والمعنى: الحمد الكامل ثابت لله تعالى.

وال الجنسية هي: التي تدخل على لفظ الجنس (وهو المعنى العام الذي تحته أنواع) لبيان حقيقته الذاتية في الذهن، دون التعرض للأفراد، تقول: أهلك الناسَ الدينارُ والدرهم، أي: جنسُهما لا أفرادهما.

قال بعض العلماء: "واختيرت صيغة الحمد على صيغة الثناء؛ لاشتمال حروفها على الحاء الحلقية، والميم الشفهية والدال اللسانية؛ حتى لا يخلو مخرج من المخارج الثلاثة من نصيبه من ذلك"[1].

❊ ❊ ❊

2- وأسألُ اللهَ مِن آثارِ نعمتِهِ ... عَوْنًا يُنجِّيْ مِن الزلّاتِ والخَطَلِ

(الزلّاتِ) جمع: زلة، وهي: السقطة والخطيئة.

(والخَطَلِ): الخطل يأتي بمعنى الخطأ، ويقال: خطِل في كلامه: تكلّم كلامًا فاسدًا، يعني: أخطأ، وأفحش فيه.

قال الطغرائي:

أصالةُ الرأي صانتني عن الخَطَلِ ... وحِلية الفضل زانتني لدى العطلِ[2]

ومعنى البيت: يسأل الناظم ربه أن يرزقه عونًا على ما قصده يقيه الوقوع في

(1) مواهب الصمد حل ألفاظ الزبد(ص:4).

(2) شرح لامية العجم للدميري (ص: 5).

الخطأ في لفظ ما كتب ومعناه، وهذا العون هو أثر من آثار نعم الله على عباده.

قال أبو فراس:

إذا كــانَ غيــرَ اللهِ للمــرءِ عُــدّةٌ ... أَتَتْهُ الرّزَايَـا مِـنْ وُجُـوهِ الفَوَائِـدِ[1]

* * *

3- ثُمّ الصّلاةُ على مَن جاءَ يُرشِدُنا ... إلى المعاليْ على التفصيلِ والجُمَلِ

4- محمّـدٍ هَـذّبَ الـرحمنُ سِـيرَتَهُ ... فأصـبحتْ قُـدوةً في أقـومِ الـسُّبُلِ

5- سَماْ على الخَلْقِ في أخلاقِهِ وعَلا ... بِطِيْـبِ معْـشَرِهِ في كُـلِّ مُحتَفَـلِ

(الصّلاةُ): الدعاء، قَالَ الْأَعْشَى:

تَقُـولُ بِنْتِـي وَقَـدْ قَرَّبْـتُ مُـرْتَحِلًا ... يَا رَبِ جَنِّبْ أَبِي الْأَوْصَابَ وَالْوَجَعَا

عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي ... نَوْمًا فَإِنَّ لِجَنْبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعًا[2]

قَالَ أَبُو العَالِيَةِ -كما في البخاري[3]-: " صَلاَةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلاَئِكَةِ، وَصَلاَةُ المَلاَئِكَةِ: الدُّعَاءُ".

وصلاتنا نحن عليه: الدعاء والتعظيم.

(يُرشِدُنا): يهدينا ويدلنا. **(المعاليْ)**: جمع: مَعْلاه، وهي: الشرف والرفعة. والمراد به هنا: الأخلاق الكريمة التي هي أس المعالي ومنبتها.

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني (ص: 113).

(2) ديوان الاعشى (31/ 1).

(3) صحيح البخاري (6/ 120).

قال أبو فراس:

تَهُـونُ عَلَيْنَا في المَعَالي نُفُوسُنَا ... ومنْ خطبَ الحسناءَ لَمْ يُغلها المهرُ[1]

(هَذَّبَ): أصلح وأخلص.

(سِيرَتَهُ) **السيرة لغة**: الطريقة. **واصطلاحًا**: هي ما كان عليه رسول الله ﷺ من الطريقة الحسنة التي سار عليها في حياته في أقواله وأفعاله وأحواله.

(سَماْ): علا وارتفع.

(معْشَرهِ): المعشر من العشرة وهي: المصاحبة والمخالطة.

(مُحتَفَلِ): المحتفل: مَكَان الِاجْتِمَاع.

وهنا أتى الناظم بالصلاة على رسول الله ﷺ مفردة عن السلام لضيق النظم، والأولى في حال السعة والاختيار الجمع بينهما؛ عملاً بقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** [الأحزاب:56].

والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ من العبادات الجليلة؛ فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)**[2].

والجمع بين الحمدلة والصلاة على رسول الله في ابتداء الكلام؛ اقتداء

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني (ص: 158).

(2) رواه مسلم(384).

برسول الله ﷺ في خطبه؛ فقد كان يجمع بينهما، كما في خطبة الحاجة.

ومعنى هذه الأبيات الثلاثة: وصلاة الله كائنة أو واصلة إلى نبينا محمد ﷺ الذي جاء يدلنا إلى الاتصاف بالمعالي التي منها الأخلاق الحسنى.

وقد جاء يرشدنا إلى ذلك على سبيل العموم؛ كقوله ﷺ: (**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارِمَ الْأَخْلَاقِ**)[1]، وعلى سبيل الخصوص في الدعوة إلى كل خلق حسن بعينه، كما سيأتي معنا إن شاء الله تعالى.

وقد أتى نبينا الكريم يدعونا إلى هذه الأخلاق الحميدة بعد أن كان قد أصلح الله سيرته فيها، فكان أسمى الناس خلقًا، وأزكاهم نفسا، وأطيبهم مخالطة في كل مكان حل فيه مع غيره؛ مع أهله ومع غيرهم.

قال تعالى في نعته: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم:4]، فغدت سيرته العطرة أسوة حسنة في السير إلى الله ومعاملة الخلق، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب:21]. فمن أراد النموذج الفذ في تمثل الأخلاق الحسنة على أكمل الوجوه فليقتدِ بنبي الله عليه الصلاة والسلام.

* * *

6- زَيْنُ الفتى أَدَبٌ يَزْهُو بِحُلَّتِهِ ... يُجَلُّ حِينَ يُرَى فِي النفسِ والمُقَلِ

(زَيْنُ الفتى): أي: جماله وحسنه. وفتى أصلها: فتَيٌ، تحركت الياء وانفتح

(1) رواه البيهقي في الكبرى(20782)، والبزار(8949) وهو صحيح.

ما قبلها فقلبت ألفا.

(**يَزهُوْ**): يفتخر (**بِحُلَّتهِ**): الْحلَّة: الثَّوْب الْجيد.

(**يُجَلُّ**): يعظّم (**والُمقَلِ**): جمع مُقلة، وهي الْعين كلهَا.

وفي البيت استعارة حيث شبه الخلق الحسن بثوب يرتديه صاحبه، ووجه الشبه: الحسن وإعجاب الناظرين به، وسبوغه، فكما أن الثوب يستر الظاهر الحسي، فالخلق الجميل يستر الباطن المعنوي.

ومعنى البيت: أن جمال الإنسان أخلاقُه الحسنة التي يعظم بها في نفوس الناس وعيونهم.

قال الشاعر:

ما وهبَ اللهُ لامرئٍ هبةً	أحسنَ من عقلِه ومن أدبِهْ
هما جمالُ الفتى فإِنْ فُقِدا	ففقدُه للحياةِ أجملُ بهْ(1)

* * *

7- نَسِيمُ أخلاقِهِ تَمضِيْ الشِّفاهُ بِهِ   تَحكِيْ مَناقبَهُ بالشُّكرِ والجَذَلِ

(**نَسِيمُ**): النسيم: الرّيح اللينة.

(**الشِّفاهُ**): جمع شَفَة. وهي من الكلمات التي حذفت لامها؛ وأصلها

---

(1) نزهة المجالس ومنتخب النفائس (1/ 83).

شَـفَهةٌ؛ ولـذلك قيـل في تـصغيرها: شُـفَيهة، وفي التكـسير: شِـفاه، وفي الفعـل: شافَهتُ فُلانًا، وفي المصدر: المُشافَهة[1].

(مناقِبَهُ): جمع منقبة، وهي: الْفِعْل الْكَرِيم والمفخرة.

(تَحكِيْ): تنقل **(والجَذَلِ)**: الجذل: الفرَح.

ومعنى البيت: أن أخلاق المرء الحسنة تتناقلها الألسنة بالفرح بها؛ لحسنها، والشكر له عليها.

8- **وذيْ جـواهرُ في الأخـلاقِ أَنظِمُهـا ... عِقْـداً يَـزينُ بمـا تَحْـوِيْ مِـنَ الحُلَـلِ**

(وذيْ): اسم إشارة، يشار به إلى المؤنث الحقيقي، والمؤنث المجازي.

(جواهرُ): جمع جوهرة.

(عِقْداً): العقد: خيط ينظم فِيهِ الخرز وَنَحْوه.

(يَزينُ): يحسن ويجمل.

(الحُلَلِ): جمع حلة، وقد سَبقت.

ومعنى البيت: وهذه أبيات انتظمتها هذه المنظومة كأنها جواهر شـملها عِقـد يحسن بانتظامها فيه؛ لما تحوي من المعـاني البديعة في الأخـلاق الحميـدة. وفي البيت تشبيه الأبيات بالجواهر، والمنظومة بالعقد.

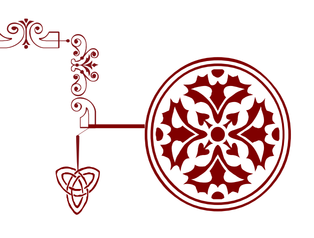
❊ ❊ ❊

(1) الممتع الكبير في التصريف (ص: 397).

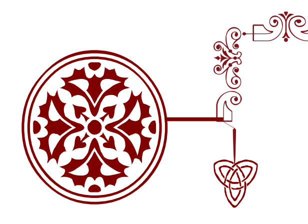
9- نَظمتُها ناصحـًا نفسيْ ومَن بلغتْ فإنّهـا خُلُـقُ الهـاديْ مِـنَ الرُّسُـلِ

(بلغتْ): وصلت و**(مَن)**: موصولة، وما بعدها جملة الصلة، والعائد محذوف، والتقدير: ومن بلغته.

والمعنى: نظمت هذه الأبيات المشتملة على محاسن الأخلاق، وغرضي من ذلك: أن أنصح نفسي بالتحلي بها، وأنصح بها من بلغته؛ حتى يعمل بما تدعو إليه؛ فإن تلك الأخلاق المستكنة فيها هي أخلاق نبينا محمد ﷺ كما دل على ذلك القرآن والسنة النبوية وشمائل رسول الله وسيرته.



الفصل الأول:
أخلاق الإنسان مع الله تعالى



إخلاص العمل لله تعالى

10- أخلِصْ لربِّكَ تخْلُصْ مِن لظى سَقرٍ   ولا تُـراءِ تَفُـزْ بالـذِّكْرِ والأمـلِ

(تخْلُصْ): **معناه**: تسلم وتنجو.

(لظى): اللظى: لَهب النَّار الْخَالِص لَا دُخان فِيهِ.

(سَقرٍ): اسْم من أَسمَاء جَهَنَّم.

(بالذِّكْرِ): الذكر: الشرف.

(والأملِ): الأمل: الرجاء.

وقوله: (تَفُزْ): أصل الفعل: تفوْزْ: فعل مضارع مجزوم بالطلب، فالتقى ساكنان- الواو والزاي- ، فحذف الواو؛ تخلصًا من التقاء الساكنين.

ومعنى البيت: أخلص -أيها المسلم- عملك لله تعالى وحده، فإذا فعلت ذلك نجوت من عذاب النار؛ لأن الرياء في الأعمال الصالحة سبب من أسباب دخول جهنم، فإياك أن ترائي في عملك، فإذا أخلصت العمل وابتعدت عن الرياء ظفرت بالشرف عند الله وعند خلقه، ونلت ما ترجوه من خير الدنيا والآخرة.

تقوى الله تعالى

11 - واطلُبْ وِسَامَ التُّقى مِن فعْلِ طاعتِهِ   وتَـرْكِ مـا يُغـضِبُ البـاريْ مِـنَ العَمـلِ

قوله: (وسام): الوسام: السمة، وَمَا يعلّق على صدر من أحسن عملاً مُكَافَأَة لَهُ عَلَيْهِ(1).

(التقى): والتقوى والتقى: واحد، والواو مبدلة من الياء. قَالَ اللَّيْث: التّقوى أَصْلهَا وَقوَى على فَعلى من وقيت، فلمّا فتحت قلبت الْوَاو تَاء، ثمَّ تركت التَّاء فِي تصريف الْفِعْل على حَالهَا فِي التُّقى والتَّقوَى والتَّقِيَّة والتَّقِيّ والاتقاء(2).

(البـاري): مخفف من البارئ، والبارِئُ: من أَسْماءِ اللهِ عَزَّ وجَلّ وفي التَّنْزِيلِ: ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[الحشر:24]. وهُوَ الَّذِي خلَق الخلْق لَا عَنْ مِثَالٍ. وبَرَأَ اللهُ تَعَالَى الْخَلِيقَةَ يَبْرَؤُهَا - بِفَتْحَتَيْنِ-: خَلَقَهَا، فَهُوَ الْبَارِئُ، وَالْبَرِيَّةُ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ. **والبريَّة**: الخلق، وقد تركتِ العربُ همزَهُ. ويخفف فيقال: الباري.

وَلِهَذِهِ اللَّفْظَةِ مِنَ الِاخْتِصَاصِ بخَلْق الْحَيَوَانِ مَا لَيْسَ لَهَا بِغَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وقلَّما تستعمل فِي غَيْرِ الحيوان، فيقال: بَرَأَ الله النسَمَة، وخلَق السموات وَالْأَرْض(3).

(1) المعجم الوسيط (2/ 1032).

(2) ينظر: المخصص (4/ 61)، تهذيب اللغة (9/ 279)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (6/ 2527).

(3) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (10/ 286)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1/ 36)، =

ومعنى البيت: احرص على أن تنال وصف التقوى فتكون من المتقين، وذاك أعظم وسام يحوزه العبد ويزهو به، ويكون الوصول إلى هذا الوسام العظيم بفعل طاعة الله تعالى وترك معصيته.

12- ففِي ظِلالِ التُّقى بَرْدُ الحياةِ بَدَا   يُنسِيْ الفَتَى وهَجَ الأحزانِ والعِلِلِ

(ظِلالِ): جمع ظل. والظل: ضوء شُعَاع الشَّمْس إِذا استتر عَنْك بحاجز.

(وهَجَ): الوهج: حر النَّهَار وَالشَّمْس.

(والعِلِلِ): جمع علة، وتطلق على المرض حسيًا كان أم معنويا.

معنى البيت: هذا البيت فيه بيان ثمرة من ثمرات التقوى، وهي: الشعور بالراحة والحياة الطيبة التي إذا حصلت أنسَتْ صاحبها ما فيه من الآلام والأوجاع؛ إذ المتقي من جمع بين الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[النحل:97].

وفي البيت صورة بيانية وهي أنه شبه التقوى بدوحة ظليلة وحذفها وأتى بشيء من لوازمها وهو الظلال على سبيل الاستعارة المكنية، وشبه ألم الأحزان والأسقام بالحر وصرح به على سبيل الاستعارة التصريحية.

ولما كان الظلال والوهج اسمين جامدين فهي استعارة أصلية. وبين البرد والوهج تضاد.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير(1/ 47)،النهاية في غريب الحديث والأثر(1/ 111).

خشية الله تعالى

13 – واخشَ الإلهَ وخَفْ سُوءَ الخِتامِ إذا   خطَّ المَشِيبُ على فَوْدَيْكَ والقُذُلِ

(واخشَ): اخش: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وهو الألف المقصورة، والفتحة دليل عليها.

(الإله): أَلِهَ يَأْلَهُ مِنْ بَابِ تَعِبَ إلَاهَةً بِمَعْنَى عَبَدَ عِبَادَةً، وَتَأَلَّهَ: تَعَبَّدَ، وَالْإِلَـهُ: الْمَعْبُودُ وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1].

قال الزجاجي: " معنى الإله في الحقيقة: هو ذو الألوهية أي: المستحق للألوهية والعبادة"[2].

وقال ابن القيم: " الإله هو: الذي يؤلَه فيُعبَد محبة وإنابة وإجلالاً وإكراما"[3].

وقال كذلك: " الإله هو: المستحق لصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال وهو الذي تألهه القلوب وتصمد إليه بالحب والخوف والرجاء"[4].

وقال أيضًا: "وأما الإله فهو: الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى؛ ولهذا كان القول الصحيح أن "الله"

(1) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/ 19).

(2) اشتقاق أسماء الله (ص: 30).

(3) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: 56).

(4) القدر والحكمة والتعليل (ص: 139).

أصله "الإله"، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم"[1].

(وخَفْ): خف: فعل أمر مبني على السكون، وأصله: خافْ، وهم يكرهون التقاء ساكنين، مما يوجب حذف أحدهما، فحذفوا حرف العلة الألف؛ لضعفه، ولم يحذفوا الحرف الصحيح وهو الفاء؛ لقوته. **قال الحريري:**

والأمــرُ مِــنْ خَــافَ خَــفِ العِقَابَـا وَمِــنْ أجَــادَ أجِــدِ الجَوَابَــا[2]

(خطَّ): بدا ونبت **(المَشِيبُ)**: الْمَشِيبُ: الدُّخُولُ فِي حَدِّ الشَّيْبِ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ الْمَشِيبُ بِمَعْنَى الشَّيْبِ وَهُوَ ابْيِضَاضُ الشَّعْرِ الْمُسْوَدِّ[3]؛ **قال الحريري:**

مَحا المشيبُ مراحي حينَ خطّ على رأسي فأبغِضْ به من كاتِبٍ ماحِ[4]

(فَوْدَيْكَ): مثنى فود، **والفود**: جَانب الرَّأْس مِمَّا يَلِي الْأذن، وَالشعر النَّابِت فَوْقه، وهما فودان، وَيُقَال: حل الشيب بفوديه[5].

(والقُذُلِ): جمع قذال، **والقذال**: جماع مُؤخر الرَّأْس من الْإِنْسَان وَالْفرس فَوق الْقَفَا، **والقذالان**: مَا اكتنفا الْقَفَا عَن الْيَمين وَعَن الشمَال[6].

---

(1) بدائع الفوائد (2/ 249).

(2) ملحة الإعراب (ص: 10).

(3) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/ 328).

(4) مقامات الحريري (ص: 243).

(5) المعجم الوسيط (2/ 705).

(6) المعجم الوسيط (2/ 722).

ومعنى البيت: اخش الله تعالى وخف سوء الخاتمة حين يبدو على شعرك الشيب؛ فإنه علامة على قرب الرحيل.

"رأى إياس بن قتادة العبشمي شيبة في لحيته فقال: أرى الموت يطلبني، وأراني لا أفوته، أعوذ بك من فجاءة الأمور؛ يا بني سعد، قدو وهبت لكم شبابي فهبوا إلي شيبي، ولزم بيته. فقال له أهله: تموت هزلاً، قال: لأن أموت هزلاً مؤمنًا أحب إلي من أن أموت فاسقًا سمينا. قال الحسن لما بلغه كلامه: علم والله أن القبر يأكل اللحم والشحم والجسم، ولا يأكل الإيمان"[1]. وقيل: بنى مسجداً وبقي يتعبد فيه حتى مات[2].

وخشية الله تعالى والخوف من سوء الخاتمة ينبغي أن يكون شعوراً دائمًا لدى المكلف قبل شيبه وبعده، ولكنه يتأكد عند ظهور علامة من علامات قرب الانتقال عن الدنيا. قال الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾[فاطر:37]."**عن** ابْن عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿**وَجَاءَكُم النذير**﴾ قَالَ: الشيب[3].

قال الكُمَيْت:

طَرِبْتُ وما شوْقًا إلى البِيض أطْرَبُ ... ولا لعِبًا مني، وذو الشَيْبِ يلعَبُ!

أراد: أَوَ ذو الشيب يلعبُ؟!"[4].

---

(1) البصائر والذخائر (5/ 72).

(2) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (3/ 39).

(3) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (7/ 32).

(4) نضرة الإغريض في نصرة القريض (ص: 50).

مراقبة الله تعالى

14- واعلـمْ بـأنَّ إلـهَ الكـونِ يَرقُبُنـا فراقـبِ اللهَ قبـلَ الخلْـقِ وامتثِـلِ

(واعلمْ): هذا الفعل يؤتى به للفت ذهن المخاطب لبيان أهمية الكلام الذي يأتي بعده، قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[محمد:19]، وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)[1].

(يَرقُبُنا): يلاحظنا (وامتثِلِ): امتثل الأمر: أطاعه.

ومعنى البيت: اعلم -أيها الإنسان- أن الله تعالى يراقبنا في حركاتنا وسكناتنا فلا يخفى عنه من عملنا شيء؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾[آل عمران:5]، وإذا كان الأمر كذلك فاستحضر مراقبة الله لك قبل مراقبتك المخلوقين الذين تخشى من سطوتهم، أو تستحي من معاتبتهم إن وقعت في مخالفة، فامتثل طاعة الله تكن من أهل مراقبته وصالحي عباده.

15- واحذرْ يَراكَ على العِصيانِ مُنهمِكًا فـإنْ رآكَ فمـا أَدنـاكَ مِـن رجُـلِ!

(مُنهمِكًا): من الانهماك، وهو المثابرة والتمادي والعمل بجد وحرص.

(أَدناكَ): من الدنو أو من الدناءة، فالأصل في الدنو أن يكون إلى سُفْل،

(1) رواه الترمذي(2516) وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

ومن هنا استُعْمل الدُنُو في الهبوط المعنوي (قلة قيمة الشيء) في مثل: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾[البقرة: 61]. ومن هذا قالوا للخسيس الساقط: "إنه لدَنِيٌّ من أدنياء، وإذا طلب الرجل أمرًا خسيسًا قالوا: قد دَنَّى". كما قالوا في ضده: الشريف والسامي والعالي. ومن هذا: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾ [الأعراف:169].

والدنيء: الخسيس من الرجال الدُّونُ. وقد دَنَأَ الرجل يَدْنَأُ: صار دنيئًا، لا خير فيه، ودَنُؤَ أيضًا دُنُوءَةً ودناءةً، أي: سَفُلَ في فَعْلِهِ ومَجَنَ. والدنيئة: النقيصة(1).

ومعنى البيت: احذر -أيها المرء- أن يراك الله تعالى مثابراً على معصيته من غير مراقبة له تحجزك عن ذلك، فإذا رأى سبحانه عبداً على ذلك من غير أوبة منه إلى مولاه؛ فإنه عبد سوء ليس له شأن عنده وعند صالحي عباده.

حسن الظن بالله تعالى

16- أحسِنْ بربِّكَ ظَنّا ما حَيِيْتَ فما ... أَحلى الحياةَ بِحُسْنِ الظّنِ والفَأَلِ

(ما حييتَ): مدة حياتك **(والفَأَلِ)**:حركت الهمزة بالفتحة لأجل القافية، والفأْل-بسكون الهمزة-: ضِدُّ الطِّيرَةِ، وهو قَول أَو فعل يستبشر بِهِ، وكان رسول الله ﷺ يحب الفأل ويكره الطيرة "**وإنَّما أحَبَّ الفَأْل؛ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا أَمَّلُوا فَائِدَةَ اللهِ تَعَالَى، ورَجَوْا عائدَتَه عِنْدَ كُلِّ سَبَبٍ ضَعِيفٍ أَوْ قَوِيّ فَهُمْ عَلَى خَيْرٍ، وَلَوْ**

(1) المعجم الاشتقاقي المؤصل (2/ 683)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1/ 50).

غَلِطوا فِي جِهَةِ الرَّجَاءِ فإِنَّ الرَّجاء لَهُمْ خَيْرٌ. وَإِذَا قَطَعوا أمَلَهم ورَجَاءَهم مِنَ اللهِ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّرّ"[1].

ومعنى البيت: أحسن فألك وظنك بالله تعالى فارجُ منه الخير طوال حياتك في سرائك وضرائك؛ ومتى استقر هذا الخلق في نفسك رأيت الحياة جميلة رحبة.

حب الله تعالى

17- أَحـبَّ ربَّـك حُبًّـا لا يُجَـاوِزُهُ حُـبٌّ سِـواه فلـولا الحُـبُّ لـمْ نَـصِلِ

(أَحـبَّ): فعل أمر مبني على السكون المقدر، منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإدغام. أو نقول: منع من ظهوره الحركة المناسبة لآخر الإدغام والتضعيف، أو: منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة التخلص من التقاء الساكنين.

(لـمْ نَـصِلِ): نصل: فعل مضارع مجزوم بـ لم، وعلامة جزمه السكون المقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بكسرة حرف الروي.

ومعنى البيت: أحبب ربك حبًا عظيمًا لا يساوي هذا الحب ولا يجاوزه حبُّ أحدٍ سواه، وهذا الحب هو طريقنا إلى الله تعالى، ولولا هذا الحب لم نصل إلى رضاه عنا، فصادق الحب ووافره من الناس هو أسرعهم إلى ربه تعالى؛ فالحب الصادق يسوق إلى الطاعة، والحب بدون ذلك دعوى كاذبة.

---

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 405).

قال ابن القيم: " فالطاعة للمحبوب عنوان محبته كما قيل:

تعصي الإلهَ وأنت تزعمُ حُبّهُ ... هذا محال في القياس بديعُ

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع "[1]

* * *

18 – فإنْ صدقتَ لهُ في الحُبِّ كنتَ على ... طاعاتِه أَبداً مِن دونما مَللِ

(مَللِ): فتور وانقطاع.

ومعنى البيت: إذا كنت صادقًا في حب الله تعالى -وعلامة ذلك: العمل بطاعته وترك معصيته-؛ فإن ذلك سيدعوك إلى الاستمرار على فعل الطاعات واجتناب المعاصي من غير فتور، حتى ولو كان في مداومة الطاعة، ومخالفة الهوى في المعصية عناء؛ فإن المشقة في سبيل رضا المحبوب تهون. كما **قال بشار:**

إذا رضيتُمْ بأن نُجْفَى وسَرَّكُمُ ... قَولُ الوُشاةِ فلا شَكْوَى ولا ضَجَرُ

وقال ابن الرومي:

إذا ما الفجائعُ أكسبتني ... رضاك فما الدهرُ بالفاجعِ

وقال أبو الطيب:

إن كان سَركُمُ ما قال حاسدُنا ... فما لجرْحٍ إذا أرضاكُمُ أَلَمُ[2]

(1) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: 266).

(2) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (1/ 71).

وقال ابن النحاس:

إنْ كانَ يرضيك تطويحُ النوائب بي فمــا لجــرحٍ إذا أرضــاكمُ ألــمُ[1]

التوكل على الله تعالى

19- وعلِّقِ القَلبَ بالموْلى وخُذْ سببًا إلــى النجــاحِ ولُــذْ بــاللهِ واتّكِــلِ

(بـالموْلى) المـولى: اسـم مـن أسـماء الله ومعنـاه: الناصـر، والمـنعم، قـال تعالى: ﴿أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:286].

(ولُذْ باللهِ): التجأ إليه وتحصن به.

(وخُذْ): قال الخليل: " وَكَانَ الأَصْل فِيهِ: أؤخذ، فكرهـوا أَن يجمعـوا بَـين همزتين مَعَ ضمة، فحذفوهما، فَكَانَ مَا بَقِي دَالاً على مَا ذهـب وعَـلى الْمَعْنـى، وَمن شَأْن الْعَرَب الإيجاز والاكتفاء بِالْقَلِيل عَن الْكثير إِذا كَـانَ مَـا بَقِـي دَالاً على الْمَعْنى"[2]. فيكون الفعل (خُذْ) بعد سقوط فائه في الأمر على وزن (عُل).

ومعنى البيت: على الإنسان الذي يريد الظفر بمأربه، والوصول إلـى مطالبه؛ أن يفوض أمره إلى بارئه، ويعلـق رجـاءه بـه، ولا يكتفـي بـذلك، بـل يـضيف إليـه فعل الأسباب المشروعة المعينة على الوصول إلى مطلبه؛ فإن الله قد أمر بذلك، ورسول الله ﷺ، وهذا هو التوكل على الله تعالى على الحقيقة.

(1) البديع في نقد الشعر (ص: 255).

(2) الجمل في النحو (ص: 248).

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال:60].

وعَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ قال: (**اعقلها وتوكل**)[1].

ذِكرُ الله تعالى

20- واذكُرْ إلهَكَ في سِرٍّ وفي عَلَنٍ ... فذِكْرُهُ في لظَى الَّلأْواءِ كالظُلَلِ

(الَّلأْواءِ): ضيق الْمَعيشَة وَشدَّة الْمَرَض.

(كالظُلَلِ): الظلل: جمع ظلة، وهي: مَا أظلك من شجر وَغَيره.

(لظَى): اللظى: لَهب النَّار الْخَالِص لَا دُخان فِيهِ.

ومعنى البيت: كن دائم الذكر لله تعالى في السر والعلن؛ ومتى أُصبت بشدة فلا تُنسِك تلك الشدة ذكر ربك؛ فإن ذكره في تلك الحال يهونها عليك، ويخفف وطأتها على نفسك، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد:28].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الأنفال:45].

فذكر الله تعالى في الأوقات العصيبة من براهين حبه، وعدم الغفلة عنه؛

---

(1) رواه ابن حبان(731)، والبيهقي(1161)، وهو حسن.

"والمحبون يفتخرون بذكرهم أحبابهم وقت المخاوف وملاقاة الأعداء كما قال قائلهم:

ذكرتُكِ والخطِيُّ يخطرُ بيننا ... وقدْ نهكَتْ منَّا المُثقَّفةُ السُّمْرُ

وقال آخر:

ولقد ذكرْتُكِ والرِّماحُ نواهلٌ ... مني وبيْضُ الهِنْدِ تقْطرُ منْ دمي

فوددتُ تقبيل السيوفِ لأنها ... لمعت كبارق ثغركِ المتبسِّم"[1]

وفي البيت استعارة تصريحية؛ حيث شبه حر الشدائد بلهب النار بجامع الألم منهما، وشبه الراحة في اللأواء بمرافقة ذكر الله بالظلة التي يجد الإنسان راحته تحتها من حر الشمس.

21- واجعلْ لسانَكَ رطْبًا منهُ في لَهَجٍ ... واحذرْ مُخادنَةَ التفريطِ والكَسلِ

(رطْبًا): أي: طريًا غضًا مشتغلاً، قريب العهد منه، وهو كناية عن المداومة على الذكر **(لَهَجٍ)**: يقال: لهج بِالْأَمر لهجًا: أولع بِهِ، فثابر عَلَيْهِ واعتاده، فَهُوَ لهج ولاهج **(مُخادنَةَ)**: المخادنة: المصاحبة والمصادقة **(التفريطِ)**: التقصير والتضييع.

ومعنى البيت: ليكن ذكر الله على لسانك دائمًا، والزمه حتى يكون لك دِيمة، وإياك أن تفتر عنه بسبب كسل أو تفريط؛ فإنهما طريقان للعدول عنه.

وفي البيت كنايتان: الأولى في(لسانَكَ رطْبًا): وهي كناية عن مداومة الذكر

(1) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: 264).

وجريان اللسان به، وهي كناية عن موصوف. **والثانية** في(مُخادنَةَ التفريطِ والكَسلِ) وهي كناية عن الملازمة لهذين الأمرين اللذين يُبعدان عن الذكر، وهي كناية عن صفة، كما أن فيها استعارة مكنية؛ حيث شبه التفريط والكسل بشخصين وحذفهما، وأتى بشيء من لوازم الإنسانية وهو المصاحبة.

الدعاء

22- وادعُ الكريمَ إذا الأسحارُ قائمةٌ   ومُـدَّ كفّـًا إلـى ربِّ الـسماْ وسَـلِ

(وادعُ): ادع: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وهو الواو، والضمة نيابة عنه.

(الكريمَ): الكريم: اسم من أسماء الله تعالى، ومعناه: الجواد، والعزيز، والصفوح، وكثير الخير[1].

(ومُدَّ): فعل أمر مبني على السكون المقدر، منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإدغام. أو: منع من ظهوره الحركة المناسبة لآخر الإدغام والتضعيف، أو: منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة التخلص من التقاء الساكنين.

(السماْ): الأصل: السماء-بالهمزة-؛ فحذفت الهمزة لضرورة استقامة الوزن بحذفها، وهي من الضرائر الجائزة في الشعر.

(وسَلِ): أصل: "سل": اسأل؛ نُقلت حركة الهمزة إلى السين وحذفت

(1) ينظر: اشتقاق أسماء الله (ص: 176)، شأن الدعاء (1/ 70).

الهمزة، فصار "اسَلْ"، حيث جيء بهمزة الوصل من أجل الابتداء بالساكن وهو سكون السين، ثم حذفت همزة الوصل؛ لتحرك الحرف بعدها، واستغناءً عنها بحركة ما بعدها. ووزن سل: فل[1].

وسل: فعل أمر مبني على السكون المقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بكسرة حرف الروي.

ومعنى البيت: ادع-أيها المسلم-ربك الكريم الذي من كرمه: أن يجيب دعاء من دعاه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:186]، واختر أحسن الأوقات للدعاء ومن ذلك: وقت السحر، وتأدب بآداب الدعاء إذا أردت نيل مطلوبك، **ومن ذلك**: رفع الكفين إلى الله، قال النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ)[2].

23- واطلُبْ مِن اللهِ عونـًا في الأمورِ ولا ... تَركنْ إلى النفسِ دونَ اللهِ وابتهلِ

(وابتهلِ): الابتهال: التضرع، وابتهل إِلَى الله: تضرع واجتهد فِي الدُّعَاء.

والمعنى: ادع الله بأن يعينك في كل شؤونك، ولا تعتمد على نفسك؛ اتكالاً على معرفتها وقوتها وعلمها وقدرتها وعلاقاتها، بل تضرع بين يديه وسله؛ فأنت

---

(1) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب - ركن الدين الاستراباذي (2/ 691)(4/ 158)، شرح نظم المقصود (20/ 14)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (4/ 278).

(2) رواه أحمد(23714)، والترمذي (3556)، وابن ماجه(3865)، وهو صحيح.

الفقير إليه في كل أحوالك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[فاطر: 15].

فقيراً جئتُ بابَك يا إلهي ... ولستُ إلى عبادِك بالفقيرِ
غنيًا عنهمُ بيقينِ قلبي ... وأطمعُ منك في فضلِ الكبيرِ[1]

الرجاء

24- ارجُ الحليمَ ولا تَقنطْ إذا برقَتْ ... سُحْبُ المنونِ برعدِ الموتِ والوجَلِ

(الحليمَ): الحليم اسم من أسماء الله تعالى، وهو ذو الصفح، والأناة، الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص. فالله عز وجل حليم عن عباده؛ لأنه يعفو عن كثير من سيئاتهم ويمهلهم بعد المعصية، ولا يعاجلهم بالعقوبة والانتقام، ويقبل توبتهم بعد ذلك[2].

(ولا تَقنطْ): القنوط: اليأس أَشد الْيَأْس.

(برقَتْ): لمعت. **(المنونِ)**: جمع منية وهي الموت.

(برعدِ): الرَّعْد: صَوت يدوّي عقب وميض الْبَرْق.

(والوجَلِ): الوجل: الخوف والفزع.

ومعنى البيت: أمِّلْ في ربك أن يتوب عليك ويرحمك، فمن صفاته: الصفح

(1) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (5/ 321).

(2) شأن الدعاء (1/ 63)، اشتقاق أسماء الله (ص: 96).

وعدم المعاجلة بالعقوبة، وإياك واليأس من رحمة الله إذا نزلت بك علامات الموت، بل اجمع بين الخوف والرجاء. فمن فعل ذلك أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف.

وفي البيت صورة بيانية وهي تشبيه مقدمات الموت بصوت الرعد بجامع الفزع في كل منهما، كما أن فيه استعارة تصريحية بتشبيه علامات الموت بالسحب؛ إذ تكاثف السحب قد يؤذن بالمطر، وتلك العلامات تؤذن بالموت.

التوبة إلى الله تعالى

25- متى عَصيتَ فتُبْ للهِ مُعترفًا بسُوءِ ما كَسبتْ كفّاكَ من زَللِ

(فتُبْ): أصلها: فتُوْبْ، فالتقى ساكنان أولهما حرف علة وثانيهما حرف صحيح، فحذف حرف العلة وهو الواو فصارت فتب. وتُب على وزن: فُلْ. سقط منه عين الفعل. مثل: قال من قول فـ قل منها على وزن فُل.

والمعنى: إذا عصيت ربك فسارع إلى التوبة إليه من عصيانك، مقراً بسوء ما كسبت يداك من الذنوب.

وفي البيت مجاز مرسل وعلاقته الجزئية؛ حيث أطلق الجزء وهو (كفاك) وأراد الكل وهو كسب جميع الجوارح؛ كقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[آل عمران:182]، وخصت الأيدي بذكر الكسب في كلام العرب-وعليه نزل القرآن- لأن الأيدي أكثر الأعضاء مزاولة للأعمال.

الاستغفار

26- واستغفرِ اللهَ إنْ أحدثتَ معصيةً   وإن ذكـــرتَ دُجـــى أيامِّـــكَ الأُوَلِ

(دُجى): الدجى: سَواد اللَّيْل وظلمته.

والمعنى: إذا أذنبت فاطلب من الله تعالى غفران خطاياك ومحوها، واستغفر الله كذلك حين يمر ببالك سالف أيامك التي سودتها بالذنوب.

وفي البيت استعارة تصريحية أصلية مرشّحة؛ حيث شبه كدر الذنوب وآثارها بالظلمة بجامع السواد والوحشة.

الشكر

27- واشكرْ على مِننٍ أُوليتَ نِعمتَها   وعجِّـلِ الـشُكرَ للنُعَمـى بـلا مَهَـلِ

(مِننٍ): جمع مِنّة، وهي: الْإِحْسَان والإنعام.

(أُوليتَ): أُعطيت. (للنُعَمى): النعمى: النعماء.

(مَهَلِ): الْمهل: التؤدة والرفق.

يقول: إذا نلت نعمة من الله تعالى أو من بعض خلقه فاشكر عليها، وعجل ذلك الشكر ولا تأخره؛ فإن ذلك من براهين اعترافك بالجميل، وحسن موقع النعمة في نفسك.

28- لا يَشكرُ الفضلَ للمولى ومَن بذلوا   إلا كـريمٌ سَـماْ في الخُلْـقِ والعمـلِ

(الْفضلَ): الْإِحْسَان. (سَماْ): علا وارتفع.

يقول: إنه لا يشكر نعمة الله وإحسان خلقه إلا امرؤ كريم عالي الرتبة في أخلاقه وحسن أعماله، وأما تارك الشكر فهو إنسان لئيم دني الخلق.

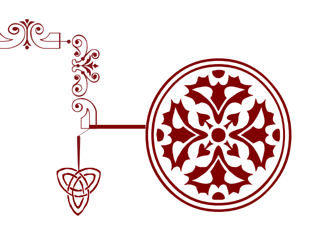
قال البحتري:

فلَـوْ كـان للـشُّكْرِ شَـخْصٌ يَبِـينُ إذا مـــا تأَمَّلـــهُ النـــاظِرُ

لبَيَّنْتُـــه لـــك حتّـــى تَـــراهُ فــتعْلَمَ أنِّــي امْـــرُؤٌ شـــاكِرُ

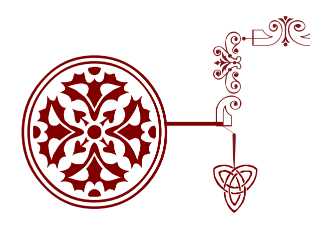
ولكنّـــه ســـاكنٌ في الـــضَّمير يُحَرِّكُـــهُ الكَلِـــمُ الـــسَّائِرُ[1].

(1) عيون الأخبار (3/ 181).



الفصل الثاني:

أخلاق الإنسان مع نفسه



الصبر

29- اصبرْ على ضُرِّ ما يَلقاكَ مِن نُوَبٍ — فلـيسَ مِـن هَـربٍ عنهـا ولا بَـدَلِ

(نُـوَبٍ): جمع نائبة، والنائبة: مَا ينزل بِالرجلِ من الكوارث والحوادث المؤلمة.

والمعنى: اصبر على ما نزل بك من المكاره؛ فإنها أقدار ماضية في الكتاب السابق، ولن تستطيع حينئذ أن تهرب من قدر الله، أو تبحث عن بديل عنه مادام أنه مقدر عليك في الكتاب المسطور قبل أن تخلق. قال رسول الله ﷺ: **(قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ)**[1].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **(كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)**[2].

(1) رواه أحمد (2803) بسند صحيح.

(2) رواه أحمد مسلم(2653).

30- لا تَجـزعنَّ ولا تـسخطْ لنائبـةٍ   فالـصَبرُ غايتُـهُ أحلـى مِـنَ العَـسلِ

(لا تَجزعنَّ) الجَزَعُ: نقيض الصَّبْر.

(ولا تسخطْ): السخط: الكره والغضب وعدم الرضا.

(غايتُهُ): الْغَايَة: النِّهَايَة وَالْآخر، فغاية كل شَيْء نهايته وَآخره.

ومعنى البيت: إياك أن تترك الصبر وتأخذ بالكُرهِ وعدم الرضا إذا نزلت بك مصيبة أو مكروه؛ فإنك لو علمت عاقبة الصبر لما جزعت ولا سخطت، فالصبر يعقب الراحة والطمأنينة والعاقبة الحسنة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللهِ كَانَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ إِلَيْهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَتَعْلَمُ، وَاللهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ، قَالَ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ فَيَكْشِفُ عَنْهُ، فَلَمَّا رَاحا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا يَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللهَ فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللهُ إِلَّا فِي حَقٍّ، قَالَ: وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، وَأُوحِيَ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ أَنِ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ، هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[ص:42] فَاسْتَبْطَأَتْهُ، فَلَقِيَتْهُ يَنْتَظِرُ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ، وَهُوَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ

قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ هَذَا الْمُبْتَلَى؟ وَوَاللهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا، قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ وَأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَغَتِ الْأُخْرَى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ"[(1)]. وذلك أن أيوب قد صبر صبراً جميلاً على مرضه، فكانت عاقبة صبره خيراً كثيراً، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[ص:41-44].

وفي بيت الناظم تشبيه ما يعقبه الصبر من النهاية السعيدة بشيء لذيذ الطعم وهو العسل، وهو من تشبيه المعنوي بالحسي؛ لتجسيده وتصويره.

وفي البيت تناص مع قول الشاعر:

الصبر مثل اسمه في كل نائبة ... لكن عواقبه أحلى من العسل[(2)]

تزكية النفس وصيانتها

31- والنفْسُ إن صُنْتَها عن كُلِّ مثلَبَةٍ ... تَقُدْكَ للخيرِ بعدَ الحَبْسِ والكَبَلِ

(1) رواه أبو يعلى (3617)، والبزار(6333)، والحاكم (4115)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

(2) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (3/ 378).

(صُنْتَها): حفظتها. **(مثْلَبَةٍ)**: عيب. **(والكَبَلِ)**: الكبل -بسكون الباء- ولكن حرك الباء لأجل القافية، ومعنى الكبل: القيد الضخمُ.

والمعنى: إذا صبرت نفسك على المحاسن، ونهيتها عن المساوئ فقد زكيتها، ومتى زكت قادت صاحبها إلى فعل الخير بعد أن رباها في مربى الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي.

التفاؤل

32 - إنّ التفاؤلَ في البَلوى يُهوِّنُها ... واليأسُ فيها دليلُ الضَّعفِ والخَبَلِ

(البَلوى): الْبلَاء، وهو: المحنة تنزل بِالْمَرْءِ ليختبر بهَا، وَالْغَم والحزن والجهد الشَّديد فِي الْأَمر.

(يُهوِّنُها): يسهلها ويخففها.

(واليأسُ): اليأس: انقطاع الأمل.

(والخَبَلِ): الخبل: فَسَاد الْعقل.

ومعنى البيت: التفاؤل بزوال المكروه في البلاء يهونه على صاحبه، وأما إذا انقطع أمل الإنسان بالفرج في بلائه فإن ذلك علامة على ضعفه، وفساد عقله؛ لأن العاقل يعلم أن اليأس في البلاء والضجر فيه لا يفيد ولا يُزيل.

قال الشاعر:

هَوِّنْ عَلَيْك فَكُلُّ الْأَمْرِ مُنْقَطِعُ ... وَخَلِّ عَنْك عَنَانَ الْهَمِّ يَنْدَفِعُ

فَكُـلُّ هَـمٍّ لَـهُ مِـنْ بَعْـدِهِ فَـرَجٌ ... وَكُـلُّ أَمْـرٍ إِذَا مَـا ضَـاقَ يَتَّـسِعُ

إِنَّ الْـبَلَاءَ وَإِنْ طَـالَ الزَّمَـانُ بِـهِ ... فَالْمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْ سَوْفَ يَنْقَطِعُ[1]

الشجاعة

33- كُنْ فِي الْأُمورِ شُجَاْعًا لا تُزَعْزِعُهُ ... رِيْحُ المكارهِ والتهديدِ والوَجَلِ

(الأُمورِ): جمع أمر، وهو: الحال والشأن.

(لا تُزَعْزِعُهُ): الزعزعة: التحريك بشدة.

(والوَجَلِ): الخوف. وفي البيت تشبيه الرجل الشجاع بالشيء القائم الثابت الذي لا يؤثر عليه هبوب ريح المكاره والتهديد والوجل، وتشبيه حصول هذه الأشياء بالريح التي تهب، ففي الأول استعارة مكنية، وفي الثاني استعارة تصريحية.

ومعنى البيت: كن -أيها المرء- رجلاً شجاعًا رابط الجأش، قوي النفس والقلب، لا يضطرب ثباته على شجاعته بهجوم مكروه أو تهديد أو خوف.

قال الشاعر:

ولستُ بهيّابِ الأمورِ ولا الذي ... إذا مكّنتْهُ جاءَ للصلحِ خاضعا

وقد يصبرُ الحُرُّ الكريمُ على الأذى ... ولا يُظهر الشكوى وإن كان موجَعا

وقد يأنفُ المرءُ الكريمُ ويستحي ... وإنْ ذاق طعمَ الموتِ أن يتوجعا[2]

---

(1) الآداب الشرعية والمنح المرعية (3/ 282).

(2) البصائر والذخائر (4/ 245).

الغيرة

34- وكُنْ غيوراً على النِّسوانِ ذا شَمَمٍ ... فلَنْ يُنالَ حمىً في غيرةِ الرّجُلِ

(غيوراً) الغيرة: الْغَيْنُ وَالْيَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى صَلَاحٍ وَإِصْلَاحٍ وَمَنْفَعَةٍ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْغَيْرَةُ: غَيْرَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ. تَقُولُ: غِرْتُ عَلَى أَهْلِي غَيْرَةً؛ لِأَنَّهَا صَلَاحٌ وَمَنْفَعَةٌ.

والغَيْرَة: الحَمِيَّةُ والأَنَفَةُ، يُقَال: رَجُلٌ مِغْيَارٌ، أَي: شَدِيدُ الغَيْرَةِ، مِنْ قَوْمٍ مَغايِيرَ، **قَالَ النابِغَة:**

شُمْسٌ مَوَانِعُ كُلِّ لَيْلَةِ حُرَّةٍ ... يُخْلِقْنَ ظَنَّ الفاحِشِ المِغْيَارِ[1]

(النِّسوانِ): جمع امرأة من غير لفظه.

(شَمَمٍ): الشمم: الارتفاع.

(حمىً): الحمى: الشيء المحمي من أن يُنال، والمراد به هنا: حرم الرجل وأهله.

ومعنى البيت: كن متخلقًا بخلق الغيرة على نسائك، ذا علوٍّ في خلقك ومن العلو: الاتصاف بالغيرة، ومن كان غيوراً على نسوانه صرن في حمى منيع لا ينال؛ إذ الغيرة تحرسهن من كل صائل.

---

(1) مقاييس اللغة (4/ 403-404)، تاج العروس (13/ 288).

العفة

35- فِي عِفَّـةِ المــرءِ إيـذانٌ برفعتِـهِ ومَعْلَـمٌ مُـشرقٌ فِي النـاسِ لـم يَـزلِ

(الْمَرْء) -مُثَلَّثَة الْمِيم-: الرجل، فَإِن لم تأت بِالْألف وَاللَّام قلت: امْرُؤ بِكَسْر همزَة الْوَصْل، وجمعه: رجال من غير لَفظه، وَالْأُنْثَى: مرأة وَمرَّة، وجمعه: نسَاء ونسوة، وَفِي امْرِئ مَعَ ألف الْوَصْل ثَلَاث لُغَات: فتح الرَّاء دَائِما، وَضمّهَا دَائِمًا، وإعرابها دَائِما[1].

(إيذانٌ): إعلام. (ومَعْلَمٌ): الْمعلم: الْعَلامَة وَمن كل شَيْء: مظنته.

والمعنى: في لزوم الإنسان للعفة إعلام بشرف نفسه وعلوها، حيث لم يستعبدها الهوى ولم يهوِ بها في الفحش، ويبقى العفيف مشرق السيرة، حسن السمعة بين الناس ما بقي على عفافه.

36- كمْ خاسرينَ لذيذَ العَيْشِ إذْ هَرقُوا مـاءَ العفـافِ هـوىً فِي أَنْـتنِ الـسُّبُلِ

(إذْ): حين. (هَرقُوا): صبّوا وأسالوا.

(هوىً): حُبًا (أَنْتنِ): أخبث.

ومعنى البيت: إن الذين خرجوا عن حصن العفاف مجاوزين حد الحلال إلى طرق الحرام حبًا لها؛ يعيشون في خسارة كبيرة؛ إما بأمراض مهلكة نتيجة الانحراف الجنسي، وإما في شقاء نفسي بسبب شناعة جرائم الفواحش، وإما بعدم وجود الراحة

---

(1) ينظر: المعجم الوسيط (2/ 860)، القاموس المحيط (ص: 52)، تاج العروس(1/ 431).

في الحلال الطيب؛ إذ النفس التي تعدل عن الطيب لا تشبع إلا في الخبيث، وهذه عقوبة من عقوبات الميل عن الطيبات، كما قال تعالى: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا**﴾[النساء:160].

النظافة

37- وكُنْ نظيفًا نَقيَّ القلبِ مِن خَمَمٍ   ومِن نفاقٍ ومن شِركٍ ومن دخَلِ

(خَمَمٍ): الخمم: فساد كالغل والحسد وغيرهما.

(دخَلِ): الدخل: الْفساد وَالْعَيْب والداء.

يقول: عليك بالنظافة المعنوية نظافة القلب من أدوائه؛ كالشرك والنفاق والرياء والغِل والحسد وغيرها.

38- مُطهِّراً جسداً يَسْبيْ تأنُّقُه   عيونَ مَن نظروا في شخصِهِ الخَضِلِ

(يَسْبيْ): يأسر (تأنُّقُه): حسنه (شخصِهِ): جسمه.

(الخَضِلِ): النديّ الناعم.

والمعنى: وكما اعتنيت بنظافة باطنك اعتن أيضًا بنظافة ظاهرك؛ فإنك إذا ظهرت بالمظهر النظيف أجلّك من ينظر إليك ويجالسك.

وفي قوله: (يسبي تأنقه عيون من نظروا) تشبيه الإعجاب والسرور بالسبي على سبيل الاستعارة التصريحية، فكأن الناظرين قد أسرهم ذلك المنظر المبهج.

القناعة

39- اقنَعْ برزقِكَ في الدنيا تَجِدْهُ غِنَى   ولـيس في طمَـعٍ يَـزدادُ أو حِيَـلِ

يقول: اقنع بما قسم الله لك من الرزق تكن بذلك في غنى نفسي تشعر معه بالراحة والكفاية، ولا تظن أن رزقك سيزداد بطمعك أو حيلك؛ فإن ذلك الظن كذوب.

وفي الشطر الأول تناص مع قول النبي ﷺ: **(وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ)**[1].

وفي بعض ما في الشطر الثاني تناص مع قول الشاعر:

لـو أنَّ بالحيلِ الغنـي لوجـدتَني   بنجـومِ أفـلاكِ السماء تعلُّقـي[2]

❀ ❀ ❀

40- يحيا القَنوعُ سعيداً آمنًا فرِحًا   وطامعُ الناسِ في حُزْنٍ وفي وجلِ

(وجلٍ): خوف.

يقول: إن الإنسان القنوع يعيش سعيداً لا شقاء ينغصه، وآمنًا لا خوف يكدره، وفرحًا لا حزن يعكر صفو عيشه، وأما الطمع الجشع فإنه يعيش في حزن وخوف وشقاء.

وبين الشطر الأول والشطر الثاني مقابلة.

---

(1) رواه أحمد (8095)، والترمذي (2305)، والبيهقي(197)، وهو صحيح.

(2) شرح لامية العجم، للدميري (ص: 100).

التثبت

41- والعاقلُ الفردُ في الأحكامِ مُتكِئٌ   علـــى التَثَبُّـــتِ دومًـــا غيـــرُ مُنتقِـــلِ

(الفردُ): الْمُنْقَطع النظير الَّذِي لَا مثيل لَهُ فِي جودته.

(التَثبُّتِ): التأني وعدم العجلة.

والمعنى: الإنسان الذي يحسن التصرف، ويدرك الأمور إدراكًا حكيمًا؛ يعتمد دائمًا في أخباره وأحكامه على التثبت، ولا ينتقل عن ذلك إلى الحكم على الناس والحديث عنهم إلا على طريق اليقين الجازم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات:6].

42- لسانُه عن حِجا يَحكِيْ وعن بَصرٍ   فـإنْ نَبَـا عنـهُ لـم يَجْـزِمْ ولـمْ يَقُـلِ

(لسانُه): اللِّسان: يذكّر، ولا يجوز تأنيثه إذا أردت به العضو. فإن أردت به اللغة أو الرسالة أو القصيدة أنثت فقلت: هذه لسان العرب أي: لغتهم، وأتتني لسان فلان أي: رسالته، وخرج الغزاة يطلبون لسانًا للعدو أي: من يعطيهم خبره. فمن أنث اللسان جمعه أَلْسُنًا، ومنْ ذكره جمعه ألسنةً[1].

(حِجا): الحجا: العقل. (نَبَاْ): نبا البصر عن الشيء: أعرض عنه، والمراد هنا: أن البصر لم ير الشيء.

(1) ينظر: المذكر والمؤنث، للتستري (ص: 7)، المذكر والمؤنث، للأنباري (1/ 389).

(ولمْ يَقُلِ): أصلها: ولم يقوْلْ، فالتقى ساكنان، فحذف الأول منهما؛ لكونه حرف علة وحذفه ليس فيه إجحاف، وبقي الحرف الصحيح؛ لأن حذفه مؤثر، وغدا وزن يقل: يفل، وهو هنا فعل مضارع مجزوم بـ بلم وعلامة جزمه السكون المقدر، منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة حرف الروي.

ومعنى البيت: الإنسان العاقل يحكي الأخبار بعقل ورويّة بلا عجلة، عن مصدر من بصر أو سماع، فإن لم يسمع ولم ير لم يجزم بالأمر ولم يتكلم به.

الإتقان

43- أكرِمْ بمَن رَسمُوا الإتقانَ مُتَّسِقًا   في لوحةٍ أَشرقتْ في الجِدِّ والعملِ

(أكرِمْ بمَن): أي: ما أكرمهم، والكرم: رفعة النفس وشرفها، وهو ضد اللؤم الذي هو مهانة النفس ودناءتها.

(مُتَّسِقًا): منتظمًا متلائمًا مجتمعا.

والمعنى: ما أعظم تلك النفوس التي تتصف بالإتقان في عملها! وقد جاء ذلك المعنى بتصوير الإتقان على أنه صورة حسنة بدت على لوحة العمل سطرها أولئك الجادون في عملهم، البعيدون عن الفوضى والكسل.

44- تَحكيْ صنائعُهمْ أخلاقَ أنفُسِهِمْ   ما أجملَ الصُّنعَ بالإتقانِ فيْ الرجُلِ!

(صنائعُهمْ): جمع صنيعة، وهي: كل مَا عمل من خير أَو إِحْسَان.

يقول: إن أعمالهم القائمة على الإتقان هي صورة لأنفسهم التي تتسم

بالأخلاق الحسنة، والشيم النبيلة، وما أجمل عمل الإنسان في عيون الناس حين يأتي متقنًا سليما!؛ ولهذا كان هذا الخلق مما يحبه الله تعالى؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ)[1].

علوّ الهِمّة

45- وكُنْ على هِمَمٍ شَمّا تُعانِقُها ... فَفِي مَطالِعِها إشراقةُ الأملِ

(وكُنْ): كن:" أصله: كوَن- بفتح الواو- ثم نقل إلى فعل بالضم توصلًا لما يأتي، ثم نقلت ضمة الواو إلى الكاف، فسكنت الواو، فاجتمع ساكنان، فحذفت الواو؛ لالتقاء الساكنين"[2].

(شَمّا): أصلها: شماء بالهمزة، وحذفت الهمزة ليتسق الوزن، والشماء: العالية الرفيعة.

(مَطالِعِها): جمع مطلع، وهو مكان الطلوع.

ومعنى البيت: احرص-أيها الإنسان-على أن تكون ذا همة عالية؛ فإنك إذا صرت صاحب همة سامية وصلت إلى آمالك، وتحققت لك رغباتك إن شاء الله تعالى. وإن كان إدراك كل ما يطلبه المرء في هذه الحياة لا يتحقق، ولكن صاحب الهمة العالية يدرك من ذلك ما لا يدركه ذو الهمة الدنية.

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط(897)، والبيهقي في شعب الإيمان(4931)، وأبو يعلى(4386)، وهو حسن.

(2) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (1/ 139).

وفي قوله: **(تعانقها)** استعارة مكنية حيث شُبهت الهمة العالية بإنسان يعانَق ثم حذف وأتي بشيء من لوازمه وهي المعانقة.

وفي قوله: **(فَفِي مَطالِعِها إشراقةُ الأملِ)** كناية عن تحقق الآمال بالهمم العالية.

الاهتداء

46- واسلُكْ سَبيلَ الهُدَى تَلقَ الفلاحَ بِهِ   ودعْ سواهُ مِن الأسبابِ والسُّبُلِ

يقول: خذ طريق الهدى في هذه الحياة سالكًا فيه؛ حتى تنال الاهتداء إلى الحق؛ فإنك إذا فعلت ذلك نلت الفلاح، وإياك أن تسلك السبل الأخرى المباينة لسبيل الهدى؛ فإنها ستوصلك إلى الخسارة والضياع.

الحياء

47- والبسْ لِباسَ الحَيا وافخَرْ بِزينتِهِ   وإنْ رَماكَ الورَى بالضَّعْفِ والوَكَلِ

(والوَكَلِ): الضعف والفتور.

ومعنى البيت: كن متمسكًا بخلق الحياء تمسكًا كبيراً، وافتخر به، ولا تحقر نفسك بالاتصاف به إذا وصفك الناس بالضعف؛ فأنت على الصواب وهم المباينون له.

وفي قوله: **(والبسْ لِباسَ الحَيا وافخَرْ بِزينتِهِ)**: تشبيه الحياء باللباس الجميل الذي يرتديه المرء بجامع السبوغ والستر، وهو كناية عن شدة التمسك بالحياء

كتمسك الإنسان بلباسه.

وفي قوله: (وإنْ رَماكَ الورَى بالضَّعْفِ والوَكَلِ): إيجاز بالحذف؛ حيث حذف جواب الشرط" إن" وتقديره: فلا تحتقر نفسك، أو فلا تترك التحلي بالحياء، ونحو ذلك.

48- إنَّ الحياءَ مِنَ الإيمانِ مَطلعُهُ   والخيرُ مِن صَوْبِهِ كالعارضِ الهَطِلِ

(صَوْبِهِ): جهتِه. (كالعارضِ): العارض: السحاب. (الهَطِلِ): الممطِر.

يقول: إن خلق الحياء ينشأ عن الإيمان وهو شعبة من شعبه، وهو خلق يأتي بالخير الكثير. فعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**دَعْهُ؛ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ**)[1].

وفي رواية: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَجُلٍ، وَهُوَ يُعَاتِبُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، يَقُولُ: إِنَّكَ لَتَسْتَحْيِي، حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ أَضَرَّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**دَعْهُ؛ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ**)[2].

"**قال الزمخشري:** جعل كالبعض منه-أي: جعل الحياء من الإيمان- لمناسبته له في أنه يمنع من المعاصي كما يمنع الإيمان، وقال ابن الأثير: جعل الحياء -وهو غريزة من الإيمان وهو اكتساب- لأن المستحي ينقطع بحيائه عن

(1) رواه البخاري(24)، ومسلم(36).

(2) صحيح البخاري (6118).

المعاصي وإن لم يكن له تَقِيَّة، فصار كالإيمان الذي يقطع بينهما وبينه، وجعله بعضه لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله، وانتهاء عما نهى عنه، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان أخص الإيمان"[1].

الزهد

49- وازهَدْ على مَركبِ الدنيا ولو رَحلَتْ عنكَ اللذائذُ لا تَنْدُبْ على الطَّلَلِ

(لا تَنْدُبْ): الندب: الدعاء، وندب فلَانًا إِلَى الْأَمر ندبًا دَعَاهُ، وَندب الْمَيِّتَ عدّد محاسنه.

(الطَّلَلِ): مَا بَقِي شاخصًا من آثَار الديار وَنَحْوهَا.

والمعنى: كن زاهداً في الدنيا، وإياك والحزن على فوات لذاتها، ومتى فاتتك فلا تقعد باكيًا مغتمًا متذكراً إياها متمنيًا عودتها والتنعم فيها.

وفي البيت تشبيه الدنيا بمطية؛ لأنها معبر يوصل الإنسان إلى دار القرار. قال ابن الجوزي:

"يا ابن آدم، الدنيا مطيّة، إن ركبتها حملتك، وإن حملتها قتلتك"[2].

وقال الشاعر:

إلا إنّما الدنيا مطيّةُ بُلغةٍ   علا راكبوها فوق أعوجَ أحدبا

---

(1) فيض القدير (3/ 427).

(2) بحر الدموع (ص: 70).

شَموسٌ متى أعطتْك طوعًا زمامَها ... فكـن لـلأذى مـن عـسفِها مترقِّبـا[1]

وقال آخر:

ألاَ إنّمـــا الـــدُّنيا مَطِيَّـــةُ راكِـــبِ ... تَـــسِيرُ بِـــهِ فِي مَهْمَـــهٍ وسَباسِـــبِ

فإمَّـــا إلـــى خَيْـــرٍ يَـــسُرُّ نَوالُـــهُ ... وإمّـا إلـى شَـرٍّ وسُـوءِ مَعاطِـبِ[2]

الورع

50- وعِشْ حياتَك في الدنيا على وَرَعٍ ... وزُمَّ نفْـــسًا بحـــزمٍ منـــكَ مُتّـــصِلِ

(وَرَعٍ): " الْـــوَاوُ وَالـــرَّاءُ وَالْعَـــيْنُ: أَصْـــلٌ صَـــحِيحٌ يَـــدُلُّ عَلَـــى الْكَـــفِّ وَالِانْقِبَاضِ "[3].

و"الورع " المشروع هو الورع عما قد تخاف عاقبته وهو ما يعلم تحريمه وما يشك في تحريمه، وليس في تركه مفسدة أعظم من فعله[4].

(وزُمَّ): يقال: زمّ الشَّيْء زمًّا: شدّه.

يقول: عش مدة حياتك في الدنيا دائمًا متحليًا بالورع، واحزم نفسك عليه طول الوقت.

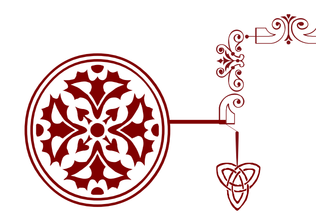
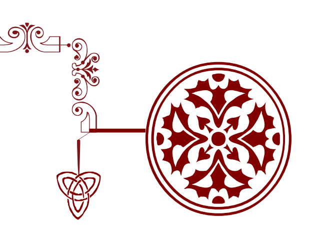
---

(1) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (2/ 399).

(2) مجموعة القصائد الزهديات (1/ 474).

(3) مقاييس اللغة (6/ 100).

(4) مجموع الفتاوى (10/ 511).

الفصل الثالث:
أخلاق الإنسان مع الناس

بر الوالدين

51- لا تَعصِ أُمَّا رعتْ ضَعفَ الصِّبَا وأبـًا ... فـالبِرُّ مِـن أعظـمِ الطاعـاتِ في المِلَـلِ

(رعتْ): حفظت وراقبت ولاحظت.

(الصِّبَا): الصِّغر. (المِلَلِ): جمع ملة، والملة: اسْم لما شرع الله لِعِبَادِهِ بوساطة أنبيائه ليتوصلوا بِهِ إِلَى السَّعَادَة فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة[1].

ومعنى البيت: إياك أن تعق أباك وأمك؛ فإنهما قد أحسنا إليك في صغرك وضعفك غاية الإحسان، ولما كان البر بالوالدين عملاً حسنًا في كل زمان ومكان فقد جعله الله تعالى طاعة مطلوبة في كل ملة من الملل السماوية؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾[البقرة:83].

52- إنَّ العقـوقَ ظـلامٌ في الحيـاةِ بِـهِ ... كـوارثٌ تُهلِـكُ البـاغيْ علـى عَجَـلِ

(كوارثٌ): جمع كارثة وهي النَّازِلَة الْعَظِيمَة والشدة.

(الباغيْ): الظالم، والعاق ظالم.

والمعنى: إن عقوق الوالدين ذنب عظيم يُظلِم الحياة، فيجعل حياة العاق

(1) المعجم الوسيط (2/ 887).

مظلمة بالمصائب التي تكدرها، أو تعجل له الموت. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**بَابَانِ مُعَجَّلَانِ عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا: الْبَغْيُ، وَالْعُقُوق**)[1].

وفي قوله: (العقوقَ ظلامٌ): تشبيه بليغ، سقط من التشبيه الأداة ووجه الشبه، فكأن المشبه عين المشبه به. فما يجده العاق من الشقاء النفسي، والحرمان من التوفيق، وكثرة المشكلات؛ ما هي سُدفٌ من ظلام العقوق.

صلة الأرحام

53- صِلْ يا فتى رَحِمًا أوصى الإلهُ بِها   واحذرْ لقاءَ الذي أوصى ولمْ تَصِلِ

(**صِلْ**): أصلها من وصل يَوْصِل، فحذفت الواو للاستثقال؛ لوقوعها بين الفتحة والكسرة، فصارت "يصل"، والأمر منه "صل"، ولما سقطت فاء الكلمة عند الأمر صار وزن صل: عِل.

ومعنى البيت: سارع -أيها الإنسان- إلى صلة أرحامك التي أوصى الله تعالى بصلتها؛ فقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[النساء:1]. **وعَنْ** أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكِ لَكِ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:**

(1) رواه الحاكم (7350) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[محمد: 22-23])[1].

وإياك أن تلقى الله تعالى وأنت قاطع لرحمك؛ فإن الوعيد شديد؛ فعن أَبِي مُوسَى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (ثَلاَثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ)[2].

54- يزيدُك الوصلُ رِزقًا في الحياةِ فإنْ ... آذتْك لا يُسلمَنْك الشَّرُّ للمَلَلِ

(للمَلَلِ): الملل: السأم والضجر، والمراد ترك الصلة.

ومعنى البيت: من ثمرات صلة الرحم: الزيادة في الرزق، وهذا قد دلت عليه السنة؛ **فعن** أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، و يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)[3].

فإذا آذتك رحمك فقابل أذاها بالإحسان، وقطيعتها بالصلة، وجهلها بالحلم؛ **فعن** أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: (لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ)[4].

(1) رواه البخاري (4830)، ومسلم (2554).
(2) رواه الحاكم (7234)، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"،ووافقه الذهبي.
(3) رواه البخاري (2067)، ومسلم (2557).
(4) رواه مسلم (2558).

يقول المقنع الكندي:

وإن الــذي بَيْنــي وبــينَ بنــي أبــي وبــين بنــي عَمِّــي لمُخْتَلِــفٌ جِــدّا
فـإنْ أَكَلـوُا لحمـي وَفَـرْتُ لحُـومَهمْ وإن هَدَموا مجدّيْ بَنَيْـتُ لهُـمْ مجدا
وإن ضَـيَّعوا غَيْبـي حَفِظْـتُ غيـوبهمْ وإن هُمْ هَوَوا غَيِّي هويتُ لهم رُشْدا
وإن بــادهوني بالعــداوةِ لــم أكــنْ أُبــادِهُهمْ إلا بمــا يُثْبِــتُ الرُّشْــدا
وإن قَطَعــوا منّــي الأواصِــرَ ضِــلَّةً وَصَـلْتُ لهـمْ منّـي المحبـةَ والـوُدَّا
ولا أحمـلُ الحقـدَ القـديمَ علـيهمُ وليس رئيسُ القومِ من يحملُ الحِقْدا
لهـم جُـلُّ مـالي إن تتـابَعَ لـي غِنـىً وإن قَـلَّ مـالي لـم أكلفَهـمُ رِفـدا[1]

الإحسان إلى الجار

55- أحسِنْ إلى الجارِ مهما كانَ مَذهبُهُ واحمِلْ على العفوِ ما يأتيكَ مِنْ زَلَلِ

يقول: أحسن إلى جارك بما تستطيع من وجوه الإحسان القولي والعملي، مهما كان ذلك الجار -مسلمًا أو كافرا -صالحـًا أو طالحا -قريبًا أو أجنبيا-، فإن أساء إليك فاعف عن زلله، واصفح عن خطله.

57- واخترْ لنفسِكَ قبلَ الدارِ جِيرتَها فــإنْ بُلِيــتَ بجــارِ الــسُّوءِ فــاعتزِلِ

(جِيرتَها): الجيرة: من جموع الجار. ويجمع كذلك على: جيران وأجوار.

يقول: قبل أن تبني الدار اختر الجار؛ فإن سعادة الدار لا تتم مع وجود جار السوء.

قال الشاعر:

(1) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (1/ 67).

يقولــون قبــلَ الــدارِ جــارٌ موافِــقٌ   وقبـلَ الطريـقِ الـنهجِ أُنـسُ رفيـقِ[1]

وقال الآخر:

اطلــبْ لنفــسِك جيرانــًا تــوافقُهمْ   لا تصلحُ الدارُ حتى يـصلحَ الجـارُ[2]

فإذا ابتليت بجار سوء فصبرت عليه حتى ضاق بك الصبر وهو لم يرعو عن غيه؛ فتحول إلى مكان فيه جيران صالحون.

قال الشاعر:

تنكّــرَ مــن كُنّــا نُــسَرُّ بقُربِــــهِ   وعــادَ زُعافــًا بعـدما كـان سَلـسلا

وحُــقَّ لجــارٍ لــم يوافقْــهُ جــارُهُ   ولا لاءمتْــه الــدارُ أنْ يتحــولا[3]

الإحسان إلى الناس

58-أحسِنْ إلى الناسِ تَكسبْ وُدَّهمْ وإذا   آذوكَ يومــًا فــلا تظلِمْ ولا تَمِـلِ

يقول: كن دائم الإحسان إلى الناس بقولك وبفعلك؛ وبذلك تكسب حبهم وإجلالهم، ومتى آذوك فلا تظلمهم ولا تمل عن إحسانك إليهم، فإن عصوا الله فيك فأطع الله فيهم.

وفي قوله: أحسن وآذوك تضاد.

---

(1) زهر الأكم في الأمثال و الحكم (ص: 169).

(2) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: 61).

(3) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (4/ 30).

قال الشاعر:

أَحِسِنْ الَى النَّاسِ إِنْ وَاتَتْكَ مَقْدِرَةٌ ... وَاسْتَصْحِبِ الصَّبْرَ يَوْمًا إِنْ أَسَاْ عَاتِ

فَصَبْرُ قَلْبِكَ نَافٍ كُلَّ مُعْضلَةٍ ... وَنَصرُ رَبِّكَ آتٍ بَعْدَ سَاعَاتِ[1]

وقال آخر:

أحسنْ إلى الناس تستعبدْ قلوبهمُ ... فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

وإنْ أساء مسيءٌ فليكن لك في ... عروضِ زلته صفحٌ وغفرانُ[2]

الإخاء والصداقة

59-آخِ إِخاءَ صفاءٍ لا تُكدِّرُهُ ... دنيا تُرامُ فهذا وُدُّ ذيْ العِلَلِ

(**تُرامُ**): تُطلب (**العِلِلِ**): جمع علة، وهي المرض، وتطلق على الأمراض الحسية والمعنوية، والعلة هنا: كذب الأخوة والصداقة؛ لقيامها على المصلحة الدنيوية فحسب.

يقول: آخ إخوانك إخاءً نقيًا من كل كدر، ومن الأكدار التي تعكر صفو الأخوة: أن تقام من أجل طلب مصلحة دنيوية؛ فإن قامت على ذلك فإنها لن تبقى إلا ببقاء تلك المصلحة، فإذا ذهبت تلك المصلحة ذهبت الأخوة، وهذه أخوة هشة مكدَّرة.

---

(1) الدر الفريد وبيت القصيد (2/ 191).

(2) الكشكول (1/ 241).

60-واحفظْ مودَّةَ مَن تصفوْ مودّتُهُ وجانبِ الرّذْلَ في الأخلاقِ والعملِ

(الرّذْلَ): الدُّون الخسيس.

ومعنى البيت: احرص على بقاء صداقة الصديق المتحلي بصفات الصديق المؤمن المهذّب، واحذر إخاء المرء الدني في أخلاقه وأعماله.

وبين الشطر الأول والثاني مقابلة.

الإصلاح

61-أصلِحْ فسادَ أمورِ الناسِ حين تَرَى حبْلَ الوئامِ تَبدَّى غيرَ مُتّصِلِ

(تبدَّى): ظهر (الوئامِ): الوفاق.

يقول: كن حريصًا على إصلاح ذات البين، ورأبِ الصدع بين الناس إذا رأيت الاتفاق بينهم نائيا، والشقاق فيهم حاضرا. قال تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[النساء:114].

وقال: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[الحجرات:10].

وفي البيت استعارة تصريحية حيث شبه استمرار الاتفاق بحبل ممتد بجامع الاتصال؛ إذ في كل منهما قوة وسلامة في البقاء بدون انفصال.

طلاقة الوجه

62-واغْزُ القلوبَ بوجهٍ باسمٍ أَلِقٍ إنَّ البشاشةَ لِلآتِينَ كالقُبَلِ

(أَلِقٍ): مضيء، وهو كناية عن الابتسامة.

(البشاشةَ): يقال: بشّ وَجهه بشًا وبشاشة: تهلل، وَبش فُلَان بفلان ضحك إِلَيْهِ، ولقيه لِقَاء جميلاً، فَهُوَ بشٌّ وبشّاش[1].

(كالقُبَلِ): جمع قبلة.

والمعنى: املك القلوب وأثّر عليها بلقاء أهلها بوجه طلق وابتسامة مشرقة، فكأن استقبالهم منك بهذا كالقبلة التي تعبر عن الحب والسرور.

عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي)[2].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: **(لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ)**[3].

---

(1) المعجم الوسيط (1/ 58).

(2) رواه البخاري (3035)، ومسلم(2475).

(3) رواه مسلم(2626).

إفشاء السلام

63- أفشِ السَّلامَ على الإخوانِ إنَّ بِهِ قطْعَ التباغضِ والهُجرانِ والدَّغَلِ

(أفشِ): الإفشاء: النشر والإذاعة.

(والدَّغَلِ): الدغل: العيب والفساد.

والمعنى: انشر السلام بين إخوانك المسلمين، ولا تخص به معارفك فحسب؛ فإن إفشاء السلام له فوائد كثيرة، منها: تعميق روابط المحبة بين المسلمين، وإذهابُ أحقادِ القلوب، والتدابرِ والعداوةِ، وسائرِ الأسباب التي تفسد الأخوة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)[1].

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ)[2].

(1) رواه مسلم (54).

(2) رواه البخاري (6077)، ومسلم(2560).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

64-عليكَ بالنَّهْيِ عِن سُوءِ الفِعالِ إذا رأيتَ ذاكَ بِلا ظَنٍّ ولا جَهَلِ

(ظَنٍّ): الظن: العلم بِغَيْر يَقِين.

(جَهَلِ): الجهل: عدم المعرفة. وعند أهل الكلام: اعْتِقَاد الشَّيْء على خلاف مَا هُوَ عَلَيْهِ[1].

وقد جاءت كلمة (جهْل) بتحريك الهاء-وهي في الأصل بسكونها- لضرورة القافية.

ومعنى البيت: احرص -أيها المسلم-على النهي عن المنكر، فإذا رأيت بين الناس فعالاً سيئة فانه عنها، ولكن لا تحكم على أمر بأنه منكر حتى تتيقن بأنه منكر، ولا تنصح أحداً بترك منكر حتى تعلم يقيناً بأنه قد ارتكب ذلك المنكر، فلا تعتمد على ما يقال عنه حتى تتأكد من أنه قد فعل منكرا.

65-والأمرُ بالعُرْفِ حَتمٌ لازِمٌ ومتَى لَمْ يُستجَبْ فإلى مولى الورى فَكِلِ

(بالعُرْفِ): العرف: المعروف، والْمَعْرُوف: اسْم لكل فعل يعرف حسنه بِالْعقلِ أَو الشَّرْع وَهُوَ خلاف الْمُنكر[2].

(حَتم): واجب (الورى): الخَلق.

(1) المعجم الوسيط (1/ 144).

(2) المعجم الوسيط (2/ 595).

(فَكِلِ): أي: فوِّض، و" كِل": فعل أمر، وأصلها من: وكل يَوْكِلُ، فحذفت الواو للاستثقال؛ لوقوعها بين الفتحة والكسرة، فصارت "يكل"، والأمر منه "كل"، ولما سقطت فاء الكلمة عند الأمر صار وزن كل: عِل.

ومعنى البيت: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على العموم؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:104]. **وعن** حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ)**(1).

فإذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فلم يستجب لك ففوض أمرك إلى الله كما قال الداعي الصالح: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[غافر:44]، ولستَ عليهم بحفيظ ولا رقيب؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ﴾[الشورى:48].

وفي قوله: (والأمرُ بالعُرْفِ) أي: والنهي عن المنكر، ففيه من الوجوه البلاغية: اكتفاء، وهو صورة من صور الإيجاز بالحذف.

وفي قوله: (لَمْ يُستجَبْ): أي: لك، ففيه أيضًا إيجاز بالحذف كذلك.

(1) رواه أحمد (23301)، والترمذي(2169)، وهو صحيح.

الستر

66- لا تَطلُبَنَّ عُيوبًا كي تُبعثِرَها   واسترُ على الناسِ فِعلَ القصدِ والخَطَلِ

(تُبعثِرَها): تفرقها وتنشرها بين الناس.

(والخَطَلِ): الخطل: الخطأ والبعد عن الصواب.

والمعنى: إياك أن تبحث عن عيوب الناس لتنشرها وتفضحهم بها، بل عليك أن تستر على الناس عيوبهم وزللهم الذي ارتكبوه قصداً أو خطأً، ما لم يصلوا إلى حد المجاهرة.

عن عَبْدِ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ)**[1].

وفي رواية: **(وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)**[2].

وبين البعثرة والستر، وفعل القصد والخطل؛ طباق.

67- إلا إذا كان في الإشهارِ مَصلحةٌ   فليسَ في فضحِهِ شيءٌ مِن العَذَلِ

(العَذَلِ): اللوم. بسكون الذال وتحريكها، وفي المثل: " سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ".

والمعنى: استر على الناس عيوبهم ولا تفشها بين الخلق، إلا إذا كان في

(1) رواه البخاري (2442)، ومسلم(2580).

(2) صحيح مسلم(2699).

إذاعتها مصلحة معتبرة؛ كأن يكون ذلك العاصي داعيًا إلى معصيته، أو مجاهراً أو مفاخراً بها، أو استُشير الإنسان فيه لزواج أو وظيفة أو شهادة أو غير ذلك، قال النووي: " وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه، بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة؛ لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله، هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك، ولا يحل تأخيرها، فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة. وأما جرح الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم؛ فيجب جرحهم عند الحاجة، ولا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم ما يقدح في أهليتهم، وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة، وهذا مجمع عليه"[1].

حفظ اللسان

68-واحفظْ لسانَك لا تؤذِ الأنامَ بِهِ   كمّ مِن لسانٍ أَتَى بالحادثِ الجَلَلِ

(الجَلَلِ): العظيم.

يقول: احفظ اللسان من الوقوع في أعراض الناس: سبًا وشتمًا وسخرية

(1) شرح النووي على مسلم (16/ 135).

وغيبة ونميمة وبهتانًا وغير ذلك؛ فإذا لم تفعل فإن ذرب لسانك سيسوق إليك شروراً كثيرة، **يقول الشاعر:**

وإنّ لِسانَ المَرْء ما لم تَكُنْ لَهُ ... حَصاةٌ على عَوْراتِهِ لَدَلِيلُ[1]

والحصاة: العقل.

وقال الآخر:

احْفَظْ لسانَك أيها الإنسانُ ... لا يلدَغَنَّكَ إنه ثعبانُ

كم في المقابرِ مِنْ قَتيلِ لسانِه ... كانتْ تَهَابُ لقاءَهُ الشجعانُ[2]

* * *

69- فالقولُ إن ينفعِ الإنسانَ قُلْتَ بِهِ ... وإنْ رأيتَ بهِ ضُرّاً فلا تَقُلِ

(تَقُلِ): على وزن: تفل، و "قل" أصله: قُوْلْ، التقى ساكنان: معتل وصحيح، فحذف المعتل وهو الواو الذي يمثل عين الكلمة، وبقي الصحيح فصار الفعل: قل، على وزن فل.

ومعنى البيت: إن رأيت في الكلام نفعًا فتكلم، وإن رأيت به ضراً فاصمت عنه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ

(1) ديوان طرفة بن العبد (ص: 67).

(2) الأذكار للنووي (ص: 535).

وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)[1].

وبين الشطر الأول والثاني من البيت مقابلة.

70- والصَّمتُ أبلغُ مِن نطقٍ إذا ظهرت ... للقولِ عاقبةٌ تُفضِي إلى الزَّلَلِ

(أبلغُ): أي: أكثر وصولاً إلى الخير.

(تُفضِيْ): توصل. (الزَّلَلِ): الخطأ والذنب.

يقول: إن السكوت عن الكلام - إذا ظهرت عاقبة سيئة له - يكون خيراً من التفوه بذلك الكلام، ويصير أحسن إيصالاً إلى العاقبة المحمودة.

قَالَ أَبُو نُوَاس:

خَلِّ جَنْبَيْك لِرَام ... وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامِ

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ ... لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ

إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ ألْـ ... ـجَمَ فَاهُ بِلِجَامِ

رُبَّمَا اسْتَفْتَحَ بِالْمَزْحِ ... مَغَالِيقَ الْحِمَامِ[2]

* * *

71- فإنْ رأيتَ بقولٍ سُوءَ خاتمةٍ ... فاحبسْ لسانَكَ في فَقْميكَ واعْتقِلِ

(فَقْميكَ): تثنية فقم، وهو الفك، والفك: اللَّحْي: منبت اللِّحْيَة من الإِنْسَان

---

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 310).

(2) رواه البخاري (6475)، ومسلم (47).

وَغَيره، ومغرس الْأَسْنَان، وهما فَكَّانِ: أَعلَى وأسفل[1].

(واعْتقِلِ): احبس لسانك عن الكلام.

ومعنى البيت: إذا قدّرت أن الحديث بقولٍ ما يؤول إلى مضرة تترتب عليه فاحبس لسانك بين فكيك وامنعها من الحديث بذلك القول؛ فذلك خير لك.

قال الشاعر:

سَأَرْفُضُ مَا يُخَافُ عَلَيَّ مِنْهُ ... وَأَتْرُكُ مَا هَوِيتُ لِمَا خَشِيتُ

لِسَانُ الْمَرْءِ يُنْبِئُ عَنْ حِجَاهُ ... وَعِيُّ الْمَرْءِ يَسْتُرُهُ السُّكُوتُ[2]

التواضع

72- تواضعِ اليومَ لا تفخَرْ بمنقَبَةٍ ... خصَّتْكَ بالفضلِ دون الناس واعتدِلِ

(بمنقَبَةٍ): المنقبة: الْفِعْل الْكَرِيم والمفخرة، وجمعها: مناقب.

(واعتدِلِ): يعني: لا تكن متكبراً ولا تكن ذليلاً، بل تواضع من غير ذل، وتسامَ من غير كبر.

والمعنى: تواضع في الدنيا، وإياك أن تتباهى بين الناس بفضيلة تميزت بها عليهم؛ من جاه أو مال أو قوة أو جمال أو علم أو شهرة، وكن في تواضعك معتدل الخُلق، تتواضع حيث يحمد التواضع بلا مذلة تجعلك حقير الشأن.

---

(1) المعجم الوسيط (2/ 698).

(2) الآداب الشرعية والمنح المرعية (1/ 38).

قال ابن قدامة: "فمن حسن المعاشرة: أن تتوقر من غير كبر، وتتواضع في غير ذلة، وأن تلقى الصديق والعدو بوجه الرضى من غير ذل لهم ولا خوف منهم"(1).

وبين تواضع ولا تفخر في البيت تضاد.

73- أهلُ التواضعِ أَسْمَى الناسِ مَرْتبةً ولابِسُ الكِبْرِ في دُوْنٍ وفي سَفَلِ

(أسمى): أعلى.

يقول: إن المتواضعين هم أعلى الناس رتبة على الحقيقة، وأما المتكبرون فهم في قلوب الناس وعيونهم في سفل وهوان، وهم كذلك في الآخرة. وبين الشطر الأول والشطر الثاني مقابلة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ)**(2).

وعن عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **(يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ)**(3).

قال الشاعر:

(1) مختصر منهاج القاصدين (ص: 104).
(2) رواه مسلم (2588).
(3) رواه أحمد (6677)، والترمذي (2492)، وهو حسن.

تَوَاضَـعْ تَكُـن كـالنجمِ لاحَ لِنَـاظِرٍ … علـى صَـفَحَاتِ المـاءِ وهْـو رَفيـعُ
ولا تــكُ كالــدُّخانِ يعلُــو بنفــسهِ … إلـى طَبَقَـاتِ الجـوِّ وهْـو وَضـيعُ[1]

غض البصر

74-احفظْ عيونَـك أنْ تَطْغَى بِنظرتِها … إلـى الحـرامِ وصُـنْ بالـدِّين والخَجَـلِ

(تَطْغَى): تتجاوز حدود المباح. (وصُـنْ): واحفظ. (والخَجَلِ): الخجل: الحياء.

يقول: غض بصرك، وإياك أن تطلقه إلى ما حرم الله النظر إليه، واستعن على غضه بامتثال شرع الله الذي نهاك عن أن تنظر إلى الحرام، كما قال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:30-31]، وزد على ذلك الاستعانة بخلق الحياء من الله ومن الناس أن يروك على جريرة إطلاق البصر.

عن سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: (أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَأَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللهِ كَمَا تَسْتَحِي رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ)[2].

❋ ❋ ❋

(1) غرر الخصائص الواضحة (ص: 53).

(2) رواه البيهقي(7343)، والطبراني في الكبير(5539)، وهو صحيح.

75-كـمْ نظـرةٍ أنبتـتْ همَّـًا ومَحزَنـةً   وأصـبحَ القلـبُ منهـا غيـرَ مُنـدَمِلِ

(كمْ): خبرية، بمعنى: كثير.

(ومَحزَنةً): تحمل على الحزن.

(غيرَ مُندَمِلِ): غير بريء من الهم والحزن والألم.

ومعنى البيت: كثير من النظرات المطلقة إلى الحرام تنبت في القلب الهم والحزن، فيصبح الناظر بذلك الداء مريضًا غير معافى؛ لأنه يرى ماء على ظمأ ولا سبيل له إلى الورود. وفي هذا البيت تناص مع **قول الشاعر**:

كُـلُّ الْحَـوَادِثِ مَبْـدَاهَا مِـنَ النَّظَـرِ   وَمُعْظَـمُ النَّـارِ مِـنْ مُسْتَـصْغَرِ الـشَّرَرِ

كَـمْ نَظْـرَةٍ بَلَغَـتْ فِـي قَلْـبِ صَـاحِبِهَا   كَمَبْلَـغِ الـسَّهْمِ بَـيْنَ الْقَـوْسِ وَالْـوَتَرِ

وَالْعَبْـــدُ مَـــا دَامَ ذَا طَـــرْفٍ يُقَلِّبُـــهُ   فِي أَعْيُنِ الْعِينِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ

يَـــسُرُّ مُقْلَتَـــهُ مَـــا ضَـــرَّ مُهْجَتَـــهُ   لَا مَرْحَبًـا بِـسُرُورٍ عَـادَ بِالـضَّرَرِ[1]

العِزّة

76-وإنْ رأيـتَ وفـودَ النـاسِ مُقبلـةً   علـى الـدنايا فَلُـذْ بـالعِزِّ وانتقِـلِ

(الدنايا): جمع دنيئة، وهي النقيصة. **(فَلُذْ)**: تحصن.

يقول: كن عزيزًا شريف النفس، سامي الهمة، ولو رأيت أكثر الناس مقبلين على نقائص الأمور تخلقًا أو عملاً فلا تكن معهم.

(1) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: 153).

قال المتنبي:

عِشْ عَزيزاً أو مُتْ وأنْتَ كَريمٌ　　بين قَرْعِ القَنا وخَفْقِ البُنُودِ

وقال القرطي:

أرى أنّ المنيةَ بالمعالي　　أحبُّ إليَّ مِنْ ذُل العقود[1]

الإنفاق

77- كُنْ منفقًا إذْ تَرَى في الناسِ مَسغبَةً　　وهاجراً دارةَ الإمساكِ والبَخَلِ

(مَسغبَةً): المسغبة: المجاعة.

(دارةَ): الدارة: الدَّار.

(الإمساكِ): البخل. **(والبَخَلِ)**-بالتحريك- لغة في البُخْل.

والمعنى: احرص على أن تكون باذلاً للمال بالإنفاق في سبل البر، خاصة إذا وجدت في الناس مجاعة؛ فإن الأجر يعظم بالإنفاق هناك؛ لعظم الحاجة، قال تعالى: ﴿**فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾[البلد:11-16].

وإياك أن تكون من أهل الشح والبخل؛ فإنهما خلقان رديئان.

قال الجاحظ: "البخل خلق مكروه من جميع النّاس، إلّا أنّه من النّساء أقلّ كراهية، بل قد يستحبّ من النّساء البخل بمال أزواجهنّ إلّا أن يؤذنّ بالجود،

---

(1) ينظر: المنصف للسارق والمسروق منه (ص: 261).

فأمّا سائر النّاس فإنّ البخل يشينهم، وخاصّة الملوك والعظماء؛ فإنّ البخل أبغض منهم أكثر ممّا هو أبغض من الرّعيّة والعوامّ، ويقدح في ملكهم؛ لأنّه يقطع الأطماع منهم ويبغّضهم إلى رعيّتهم"[1].

وبين شطري البيت مقابلة، وبضدها تتميز الأشياء.

78- لا تَحبسِ المالَ عن حقٍّ فتُحْرَمَهُ ... بوارثٍ أو نُزولِ المحقِ والأجَلِ

(المحقِ): النقص والهلاك.

والمعنى: لا تبخل عن الإنفاق في وجوه الخير بعد أن تؤدي ما عليك من النفقات الواجبة؛ فإن الممسك لماله بخلاً عليه غرمُ مالِه ولغيره غُنْمُه، وعليه حَره ولسواه برده؛ فقد يذهب ذلك المال إلى يد الوارث، أو تنزل به جائحة فتستأصله، أو تحصل فيه خسارة فتهلكه.

قال ابن المعتز: بشِّرْ مال البخيل بحادث أو وارث. ومن منظومه:

يا مالَ كلِّ جامعٍ وحارثِ ... أبشرْ بريبِ حادثٍ أو وارثِ

وقال غيره:

كدودةِ القزِّ ما تَبنيه يهدمُها ... وغيرُها بالذي تبنيه ينتفعُ[2]

(1) تهذيب الأخلاق للجاحظ (33).

(2) الآداب الشرعية والمنح المرعية (3/ 318).

الجود

79-جُـدْ بالقليـلِ إذا أعيتْـكَ كَثْرَتُـهُ فكـمْ قليـلٍ غـدا كالـسَّيلِ مِـن جَبَـلِ

(أعيتْكَ): أعجزتك.

يقول: لا تمتنع عن خلق السخاء والجود، فإذا لم يكن لديك كثير فجد بالقليل؛ فالعدم أقل منه، فقليل إلى قليل يغدو كثيرا؛ كقطرات المطر التي تجتمع على قُنّة جبل فتصبح سيلاً عرِما، ورب جود قليل كان خيراً من كثير. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**سَبَقَ دِرْهَمٌ دِرْهَمَيْنِ**)، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (**كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ، فَتَصَدَّقَ بِأَجْوَدِهِمَا، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَتَصَدَّقَ بِهَا**)[1].

الصِّدق

80-عليكَ بالصِّدِقِ في قولٍ وفي عمَلِ لا تكـذِبنْ أبـداً في الجِـدِّ والهَـزَلِ

(عليكَ): بمعنى الزم، وهو: اسم فعل أمر مبني على السكون لا محل له من الإعراب، والكاف حرف خطاب مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره: أنت.

يقول: الزم الصدق دائمًا في قولك وعملك، وإياك والكذب؛ فإنه لا يحل في جد ولا مزاح، **فعن** عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: "لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ فِي جِدٍّ

(1) رواه أحمد(8929)، والنسائي(2527)، وإسناده قوي.

وَلَا هَزْلٍ، وَلَا أَنْ يَعِدَ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ شَيْئًا ثُمَّ لَا يُنْجِزُ لَهُ"[1].

وبين شطري البيت مقابلة، وبين الجد والهزل طباق.

81-واحذرْ مَجالسَ مَن يَحيا على دجَلِ ... فالجُرْبُ في العِيرِ أَعدتْ سائرَ الإبلِ

(دجَلِ): كذب. **(فالجُرْبُ)**: جمع جرباء، والجَرب: مرض جلدي يسببه نوع من الحمك يُسمى حمك الجرب[2].

(العِيرِ): الإبل التي تحمل عليها الأحمال[3].

(سائرَ الإبلِ): باقي الإبل.

يقول: إياك وحضور مجالس مَن خُلقه الكذب؛ فإنه سيعديك بدائه؛ فعدوى الكذب سريعة الانتقال، كالإبل الجرباء التي تعدي بقية الإبل. وفي البيت تشبيه ضمني.

تفريج الكربات

82-فرِّجْ همومَ ذويْ الآلامِ مُحتسِبًا ... على المليكِ ثوابَ الفضلِ والعملِ

(مُحتسِبًا) أي: احتسب الأجر على الله أي: ادخره لديه.

(الفضلِ): الإحسان.

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد(387) بسند صحيح.

(2) المعجم الوسيط (1/ 114).

(3) الغريبين في القرآن والحديث (4/ 1348).

يقول: احرص على المسابقة إلى تفريج هموم المهمومين، واحتسب لك هذا الإحسان الكبير والعمل الصالح عند الله تعالى، ولا تطلب به مصلحة عاجلة من أحد من الخلق.

83- اقضِ الدُّيونَ وأفرِحْ كلَّ أرملةٍ   داوِ المريضَ وخفِّفْ حِدَّةَ الوجَلِ

(أرملةٍ): الأرملة: من مات زوجها.

(حِدَّةَ): قوّة **(الوجَلِ)**: الخوف.

يقول: ومن أمثلة الكربات التي ينبغي الحرص على تخفيفها عن الناس لوجه الله تعالى: قضاء الدين عن المدينين، وإفراح الأرملة بالنفقة عليها وكفالة أولادها اليتامى، ومداواة المرضى العاجزين عن مداواة أنفسهم؛ لفقرهم، وتأمين الخائفين مما نزل بهم من أسباب الفزع.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ، طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: آللهِ؟ قَالَ: آللهِ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ)**[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ)**[2].

(1) رواه مسلم(1563).

(2) رواه البخاري(5353)، ومسلم(2982).

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إلى اللهِ؟ ، وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إلى اللهِ؟ فَقَالَ: (**أَحَبُّ النَّاسِ إلى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ؛ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا**)[1].

أداء الأمانة

84-أدِّ الأمانةَ واحذرْ أنْ تخونَ ففي ... خيانةِ الحقِّ سوءُ الظنِّ بالرجُلِ

يقول: أد الأمانة إلى الله تعالى وإلى خلقه، وإياك أن تكون خائنًا في ذلك؛ فإن الخيانة لها عواقب وخيمة، منها: أن يُساء الظن بصاحبها، وتدنو منزلته عند الله وبين الخلق، ومن عُرفت عنه الخيانة لا يأتمنه الناس حتى ولو عزم على الأمانة فيه.

85-إنَّ الأمينَ إذا ما عاشَ تَحمَدُهُ ... وإنْ يمُتْ لُسُنٌ في كُلِّ محتَفَلِ

يقول: إن الأمين حسن السمعة بين الناس حيًا وميتا، فهو مذكور بالجميل في كل نادٍ يجتمع فيه الناس ويذكرونه أو يذكرون الأمانة فيه، وهذا من لسان الصدق الذي يجعله الله تعالى للإنسان القائم بهذه الطاعة العظيمة.

دقاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ لـه ... إن الحياةَ دقائقٌ وثوانِ
فارفعْ لنفسِك قبل موتِك ذِكرَها ... فالذِّكْرُ للإنسانِ عُمْرٌ ثانِ[2]

(1) رواه الطبراني في الأوسط(6026)، وهو حسن.

(2) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (2/ 396).

كان أبو زيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن حفظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وكان قد" نَزَلَ البَصْرَةَ، وَاخْتَطَّ بِهَا، ثُمَّ قَدِمَ المَدِيْنَةَ، فَمَاتَ بِهَا. فَوَقَفَ عُمَرُ عَلَى قَبْرِهِ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ! لَقَدْ دُفِنَ اليَوْمَ أَعْظَمُ أَهْلِ الأَرْضِ أَمَانَةً"(1).

وفي البيت من الصور البلاغية: التضاد بين " عاش" و" يمت"، والإيجاز بالحذف في قوله: " وإن يمت" والتقدير: وتحمده إذا مات أيضا.

الوفاء

86- فِ فالوفاءُ لأهلِ العهدِ مأْثُرةٌ ... وشِيمةٌ مِن صفاتِ السَّادةِ الأُوَلِ

(فِ): أمر من الوفاء من الفعل وفى، ولما سقط فاء الكلمة ولامها -وهو من اللفيف المفروق- صار " ف" على وزن "ع". وهذا الفعل من الأفعال المعتلة التي لا يبقى منها عند الأمر إلا حرف واحد، وهي: وفى ، وقى، ولِيَ، وشى(2)، ودى، وعى، رأى، وأى(3)، ونى، وجى(4).

وكلها تنطق بالكسر إلا " رَ" فبفتحها؛ لفتح عين مضارعه.

جمعها بعضهم وأضافها إلى المخاطب المفرد المذكر، والمثنى، وجمع المذكر، والمفردة المؤنثة، وجمع المؤنث فقال:

---

(1) سير أعلام النبلاء (1/ 336).

(2) **وشى** الثَّوْب وشيًا وشية: نمّنمه ونقشه وَحسنه.

(3) **وأى**: وعد، والوأي: الْوَعْد الَّذِي يوثقه الْمَرْء على نَفسه.

(4) **وجى**: نحّى وأبعد. ويقال: تركته وما في قلبي منه أوجى، أي: إني يئست منه.

إنِّـي أقـولُ لمـن تُرجـى مودَّتُـهُ قِ المستجيرَ قِياه قُوهُ قِي قِينَ

و إنْ صرفتَ لوالٍ شغلَ آخرَ قُلْ لِ شغلَ هذا لِياه لُوه لي لِينَ

وإنْ وُشِيْ ثوبُ غيريْ قلتُ في ضجرٍ شِ الثوبَ ويكَ شِياه شُوه شِي شِينَ

وقلْ لقاتلِ إنسانٍ على خطأٍ دِ مَن قتلتَ دِياهُ دُوهُ دِيْ دِينَ

وإنْ همُ لم يروا رأييْ أقولُ لهمْ رَ الرأيَ ويكَ رَياه رَوهُ رَيْ رَينَ

وإن همُ لم يَعُوا قوليْ أقولُ لهمْ عِ القولَ منِّيْ عِياهُ عُوهُ عِيْ عِينَ

وإنْ أمرتَ بواْيٍ للمُحبِّ فقلْ إِ مَن تُحِبُّ إِياهُ أُوهُ إِيْ إِيْنَ

وإن أردتَ الونَى وهو الفتورُ فقلْ نِ يا خليليْ نِياهُ نُوهُ نِي نِينَ

وإن أبى أن يفيْ بالعهدِ قلتَ لهُ فِ يا فلانُ فِياهُ فُوهُ فِيْ فِينَ

وقلْ لساكنِ قلبي إنْ سِواكَ بهِ جِ القلبَ منِّي جِياهُ جُوهُ جِيْ جِينَ

(مأثرة): المأثرة: المكرمة المتوارثة.

(وشِيمةٌ): الشيمة: الخُلق.

(السَّادةِ): جمع سيد، وهو الرجل الشريف الرفيع.

ومعنى البيت: إذا عاهدت عهداً أو وعدت وعداً فَفِ بذلك؛ فإن الوفاء خلة حميدة من خِلال أشراف الناس وعِليتهم وفي مقدمتهم السلف الصالح المتقدمون.

87- ولا تخُنْ أحداً عهداً عقدتَ لهُ فنقضُكَ العهدَ لا يُنجِيْكَ مِن عَذَلِ

(عَذَلِ): لوم.

يقول: إياك أن تخون العهود وتنقضها؛ فإن فعلك ذلك سبب للومك وذمك.

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[الأنفال:58].

كتمان الأسرار

88- وابخلْ إذا أحدٌ أعطاكَ مَخبَرَهُ ... فالبُخلُ يُحمدُ بالأسرارِ في المِللِ

(مَخبَرَهُ): الْمخبر: خلاف المنظر، وهو هنا كناية عن إفشاء المرء سر صدره إلى غيره.

يقول: إذا أسر أحد إليك بخبر واستكتمك أو عرفت من قرينة الحال كراهة إفشائه، فاكتمه، وأمسك لسانك عن التحدث به، ومن سألك عنه فلا تجُد له به؛ فإن البخل بالأسرار محمود في كل الملل.

قال بعض الحكماء لابنه: " يَا بُنَيَّ، كُنْ جَوَادًا بِالْمَالِ فِي مَوْضِعِ الْحَقِّ، ضَنِينًا بِالْأَسْرَارِ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ؛ فَإِنَّ أَحْمَدَ جُودِ الْمَرْءِ الْإِنْفَاقُ فِي وَجْهِ الْبِرِّ، وَالْبُخْلُ بِمَكْتُومِ السِّرِّ"(1).

التعاون

89- أعِنْ بلا مِنَّةٍ مَن يستعينُ إذا ... كانَ التعاونُ لا يُودِي إلى خَطَلِ

(مِنَّةٍ): المنة هنا: استكثار الْإِحْسَان وَالْفَخْر بِهِ.

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 306).

(لا يُودِيْ): لا يذهب.

(خطل): فساد وخطأ.

يقول: تعاونْ مع من يستعين بك في جلب نفع أو دفع ضر، إلا إذا كان ذلك التعاون على حرام فإياك أن تكون معه فيه. قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[المائدة:2].

الاستئذان

90-واستأذنِ الناسَ إن أقبلتَ نحوَهمُ إلى البيوتِ وإنْ ردُّوكَ فارتحِلِ

يقول: ليكن من خلقك الكريم الاستئذان، فإذا أقبلت على بيوت الناس ومكان خاص غير عام فاستعمل أدب الاستئذان، فإن لم يؤذن لك أهله فارجع، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾[النور:27-28].

مراعاة المشاعر

91- راعِ المشاعرَ واجبُرْ كَسْرَ أفئدةٍ كمْ كِلْمَةٍ رُميتْ في القلبِ كالأَسَلِ

(راعِ المشاعرَ): احفظها وأبق عليها.

(واجبُرْ كَسْرَ): جبرَ الكسرَ: أصلحَه.

(كالأَسَلِ): الأسل: الرماح.

والمعنى: احترمْ مشاعر الناس، وأحسن إلى قلوبهم، واستعمل العبارات الحسنة معهم؛ فكم عبارة خشنة جرحت قلب إنسان ومشاعره، ووصلت إليه كالرمح الطاعن.

وفي البيت تشبيه مرسل ذكرت فيه الأداة وذلك بتشبيه الكلمات الجارحة بالرماح، وهو تشبيه مجمل؛ لكونه لم يذكر فيه وجه الشبه.

قال الشاعر:

وجَـرحُ الـسيفِ تُدملُـه فيـرا ... وجَرحُ الـدهرِ مـا جـرح اللـسانُ[1]

وقال الآخر:

جِـرَاحُ الـسَّيْفِ تُـؤلِمُ ثـم تَبْـرا ... ولا بـرءٌ لمـا جـرحَ اللّـسانُ[2]

الحلم

92- إنِّي رأيتُ حليمَ الناسِ ذا سَدَدٍ ... ومَـن يَطِـشْ سـعيُهُ في حَمْـأةِ الخَلَـلِ

(سَدَدٍ): السدد: السداد، والسداد: الاسْتقَامَة وَالْقَصْد وَالصَّوَاب من القَوْل وَالْفِعْل.

(1) البيان والتبيين (1/ 151).

(2) المطرب من أشعار أهل المغرب (ص: 60).

(يَطِشْ) الطيش: الانحراف والزلل.

(حَمْأةٍ): الحمأ: الطين الْأسود المنتن والقطعة مِنْهُ حمأة.

ومعنى البيت: إن الحليم من الناس موفق في أقواله وأفعاله، وأما المرء الطائش الجهول فإنه كثير الوقوع في الخذلان، وسعيه يمضي إلى الفساد والضعف والبعد عن الصواب.

وبين شطري البيت مقابلة تزيد المعنى إيضاحًا وجلاء.

قال الشاعر:

لَا تَـشْرَهَنَّ فَـإِنَّ الـذُّلَّ فِـي الـشَّرَهِ   وَالْعِزُّ فِي الْحِلْمِ لَا فِي الطَّيْشِ وَالـسَّفَهِ(1)

الصفح والعفو وكظم الغيظ

93-والصفحُ والعفوُ عن أهلِ الخطأْ كَرَمٌ   والكَظْـمُ للغَـيْظِ خُلْـقُ الـسيّدِ البطـلِ

(كرم): الكرم: الشرف والعز وهو ضد اللؤم.

(السيّدِ): الشريف الرفيع. **(البطلِ)**: الشجاع.

يقول: إن كظم الغيظ والعفو والصفح عن المذنب خلق عظيم لا يتحلى به إلا الشرفاء الشجعان الذين انتصروا على نفوسهم ومعوِّج أهوائهم.

94-والأخذُ بالحقِّ حقٌّ ليس معْتَبَةً   لكنما الفـضلُ للعـافينَ عـن زلَـلِ

(بالحقِّ): الحق هنا: نصيب الإنسان الذي له **(حقٌّ)**: الحق هنا: ضد

(1) الآداب الشرعية والمنح المرعية (1/ 185).

الباطل، وبين الحقين هنا جناس تام؛ لاتفاق اللفظين في نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها، مع اختلاف المعنى.

(معْتَبَةً): المعتبة: العتاب.

(الفضلُ): الزيادة في الخير.

والمعنى: إن أخذ الإنسان حقه ممن جنى عليه من غير مجاوزة؛ ليس بباطل ولا يعاتب على ذلك، بل هو حق مشروع، قال تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الشورى:42]. غير أن الذي يعفو عن مقدرة له فضل بتصدقه على من جنى عليه بالصفح عنه؛ ولذلك قال تعالى بعد الآيتين السابقتين: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[الشورى:43].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ- وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْتَصِرَ- دَعَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي حُورِ الْعِينِ أَيَّتَهُنَّ شَاءَ)[1].

الإيثار

95- ما أجملَ العيشَ بالإيثارِ تَسكُبُهُ ... كَفُّ الكرامِ على العافينَ كالعَسلِ

(العافينَ): أي: طالبي المعروف.

---

(1) رواه أحمد(15619)، وإسناده حسن.

يقول: إن الحياة جميلة حين يسود فيها الإيثار بين الناس؛ إذ به تُسدّ الفاقة، وتُقضى الحاجة، ويتحاب الناس، فيسعد من آثر ومن أوثِر.

وفي البيت تشبيه تمثيلي بتصوير الإيثار كأنه عسل مصفى تسكبه كف الكرام من أوعيته وتسقي الناس منه فضلاً وسماحة، فيجد المجتمع الذي يحل فيه الإيثار من لذة العيش ما يجد مستقو العسل من لذته.

وفي مجتمع الصحابة في المدينة قال الله تعالى مثنيًا: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر:9].

96-فآثِرِ الناسَ بالإنعامِ ما وجدَتْ يَداكَ مِن نِعَمِ الدنيا بلا مَلَلِ

(فآثِرِ): آثِر: أصلها: أَأْثِر، توالت همزتان وسكنت الثانية فقلبت مَدّة من جنس حركة الأولى، أي: قلبت الهمزة الثانية ألفًا؛ لأن حركة الأولى فتحة، ورُسِمَ الحرفان بعد ذلك ألفًا عليها مدة فصارت: آثِر **(مَللِ)**: ضجر وسأم.

يقول: فاحرص على أن تتحلى بخلق الإيثار مادام لديك نعمة يمكن أن تنفع الناس بها، واستمر على هذا الخير وإياك والسأم منه.

الرحمة

97-وارحمْ سِواكَ ففي رُحمى الورى جَذَلٌ يَهمِي عليكَ وما أحلاهُ من جَذلِ!

(رُحمى): الرحمى: الرحمة.

(جَذَلٌ): فرح وسرور.

(يَهمِي): يسيل وينصبُّ.

والمعنى: ارحم غيرك من إنسان وحيوان؛ فإن رحمتك إياهم تنيلك السعادة والفرح، وما أحلى ذلك الفرح الذي يأتي من إحسان الإنسان إلى غيره برحمته إياه!

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **(الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)**[1].

وفي قوله: "جذل يهمي عليك" استعارة مكنية؛ حيث شبهت الرحمة بسحابة هتانة بالغيث، ثم حذفت وأتي بشيء من لوازمها وهو السيلان.

العدل

98- والعـدْلُ مِـن شِـيمِ الأحـرارِ كـم　　　فينـا الحقـوقُ بكـفِّ الظـالمِ العَجِـلِ

يقول: إن العدل في الأحكام والحقوق خلق جليل من أخلاق أحرار الناس وأشرافهم، وما أحسن الحياة بالعدل! وأما إذا وجد الظلم فيها فستذهب حقوق كثيرة بجور الباغي المستعجل.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[النساء:58].

---

(1) رواه أحمد(6494)، والترمذي(1924)، وأبو داود(4941)، وهو صحيح.

وقال: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:90].

قبول النصيحة

99- واقبلْ نصيحةَ مَن يدعو إلى رَشَدٍ ... فالكِبْرُ يُرديْ الفَتَى في مَهلكٍ جَلَلِ

(رَشَدٍ): استقامة وهدى.

(يُرديْ): يُهلِك. (مَهلكٍ): مكان هلاك. (جَلَلِ): عظيم.

يقول في نهاية المنظومة -وهذا من حسن الختام لهذه النصائح بهذا الخلق الكريم-: ليكن من أخلاقك الثابتة: قبول النصيحة إلى الخير ممن جاء بها، وإياك أن تنأى عن قبولها؛ فإن ذلك يوصل صاحبه إلى شر عظيم، والمانع عن قبول النصيحة قد يكون: الكبر، أو الحسد، أو العجب، فمن قامت فيه إحداهن حجبته عن قبول النصيحة، **حتى قال بعضهم:**

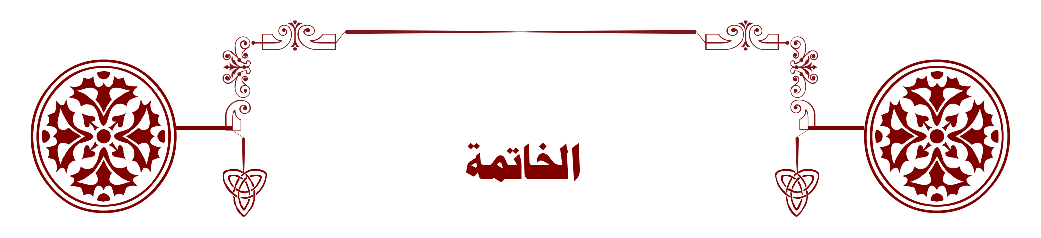
إذا نصحتَ لذي عُجْبٍ لتُرشدَه ... فلم يطعْك فلا تنصح له أبدا

فإنّ ذا العجب لا يُعطيك طاعتَه ... ولا يجيبُ إلى إرشاده أحدا

وما عليك وإن غاوٍ غوى حِقبًا ... إن لم يكن لك قُربى أو يكن ولدا(1)

---

(1) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: 196).



الخاتمة

100-مَحضتُكَ النُّصحَ في خُلْقٍ لِتلزمَهُ   وهــذه منــكَ تغــدو مُنتهَــى أَملــي

(مَحضتُكَ النُّصحَ): أخلصته لك.

والمعنى: لقد أخلصت لك النصح بهذه الأخلاق الحميدة التي اشتملت عليها هذه المنظومة؛ رجاء أن تلزمها-أيها المخاطب-، فإن فعلت ذلك فهذا غاية رجائي منك ولا أريد منك سواه في هذا الباب، فما تبقى من الأخلاق يدخل فيما ذكرته لك بالتضمن أو الالتزام.

101-وقد أتتْ مِن بسيطِ الشِّعرِ رافلةً   فــانظُرْ إليهــا بِعــينِ المُغْــرَمِ الغَــزِلِ

(وقد أتتْ مِن بسيطِ الشِّعرِ): يعني: إن هذه المنظومة جاءت على ميزان بحر البسيط الذي ميزانه:

مــستفعلن فَعِلــن مــستفعلن فَعِلــن   مــستفعلن فَعِلــن مــستفعلن فَعِلــن

وقد تأتي مستفعلن على: مستعلن، ومُتَعِلُنْ، ومُتَفْعِلُن، ومُسْتَفْعِلْ.

وقد سمي البحر البسيط بسيطًا: " قيل: لانبساط أسبابه، أي: تواليها في مستهل تفعيلاته السباعية[1]، **وقيل:** لانبساط الحركات في عَرُوْضه وضربه في

(1) المعروف أنه ثماني التفعيلات: أربع في كل شطر. ما لم يكن مخلعا.

حالة خبنهما؛ إذ تتوالى فيهما ثلاث حركات"[1].

وهذا البحر من أجمل بحور الشعر العربي الستة عشر؛ لنغمه الجميل المترقرق، ولاستيعاب ميزانه لكثير من أفكار الشاعر في البيت الواحد؛ نظراً لطوله.

(رافلةً): جارّة ذيلها متبخترة.

(المُغرِم): المُحِب **(الغَزِلِ)**: كثير الغزل، وهو الشغوف المتودد إلى النساء.

ومعنى البيت: وقد أتت هذه المنظومة على صفة حسنة في قالبها ومضمونها، كأنها عروس تزهو، فانظر إليها نظر المحب ممتثلاً ما تدعو إليه من الأخلاق الكريمة، ومنتهيًا عما تحذر منه من الأخلاق الذميمة.

وفي البيت استعارة مكنية؛ حيث شبه هذه المنظومة بعروس ثم حذفها وأتى بما يدل عليها وهو التبختر ونظر المحب لها الشغِف بها.

102 - كَسَوْتُها بِحُلَى الإتقانِ أحْسِبُني   مُستغفِراً مِن ورودِ النقصِ والخَللِ

(بِحُلَى): جمع حلية، وهي ما تتزين به المرأة من الجواهر النفيسة.

(أحْسِبُني): أظن نفسي.

(ورودِ): حضور وحصول.

(والخَللِ): الخلل: العيب والقصور.

يقول: أظن نفسي أنني قد ألبست هذه المنظومة لبسة الإتقان في ألفاظها

(1) موسوعة العروض والقافية (ص: 39).

ومضامينها، فإن حصل فيها قصور وخلل -وهذا لاشك وارد فيها؛ لأنها عمل بشر- فأسأل الله أن يغفر لي زللي، وأطلب ممن وقف على ذلك العيب أن يغفره لي.

وفي الشطر الأول استعارة مكنية كحال البيت السابق.

103 -فإنْ وجدتَ بها عيباً فمعذرةً ... وداوِهِ بانتزاعِ العَيْبِ والدَّخلِ

(فمعذرةً): من العذر وهو: وهو طلب الإنسان إصلاح ما أنكر عليه بكلام، وهي مصدر محذوف العامل من لفظه وهو أعتذر.

(والدَّخلِ): الدخل: الفساد والعيب.

يقول: أيها القارئ لهذه المنظومة، إن وجدت بها عيبًا فإني لم أقصده، فلذلك أعتذر من حصوله، وإذا كان لك قدرة على إصلاح ذلك العيب ومداواته فافعل مشكورا.

قال الحريري في نهاية الملحة:

فَانظُرْ إِلَيْهَا نَظَرَ المُستَحسِنِ ... وأحسِنِ الظَّنَّ بهَا وحَسِّنِ

وإنْ تَجِدْ عَيبًا فَسُدَّ الخَلَلا ... فَجَلَّ مَنْ لَا فيهِ عَيبٌ وَعَلا[1]

وقال في المقامة الشعرية:

واعْلَمْ بأنَّكَ إن طلبْـ ... ـتَ مهذَّبًا رُمتَ الشّطَطْ

مَنْ ذا الذي ما ساءَ قـ ... ـطُّ ومَنْ لهُ الحُسْنى فقطْ[2]

---

(1) ملحة الإعراب (ص: 87).

(2) مقامات الحريري (ص: 230).

104- والحمدُ للهِ بعدَ النظمِ خاتمةٌ   هو المُعينُ ولولا العونُ لمْ أَصِلِ

يقول: أحمدُ اللهَ تعالى في آخر النظم كما حمدتُه في أوله، وأجعل ذلك خاتمته كما جعلته فاتحته؛ وقد حمدتُ ربي سبحانه لأنه أعانني على هذه المنظومة، ولولا عونه لي لما وصلت إلى هذه الخاتمة، فله الحمد والشكر وحده على هذه النعمة.

105- ثم الصلاةُ على تاجِ الهُداةِ إلى   مشارعِ الخيرِ مِن قولٍ ومن عملِ

106- والآلِ والصحْبِ والأتباعِ أجمعِهِمْ   ما أشرَقَ الصُّبحُ في سَهْلٍ وفي جَبَلِ

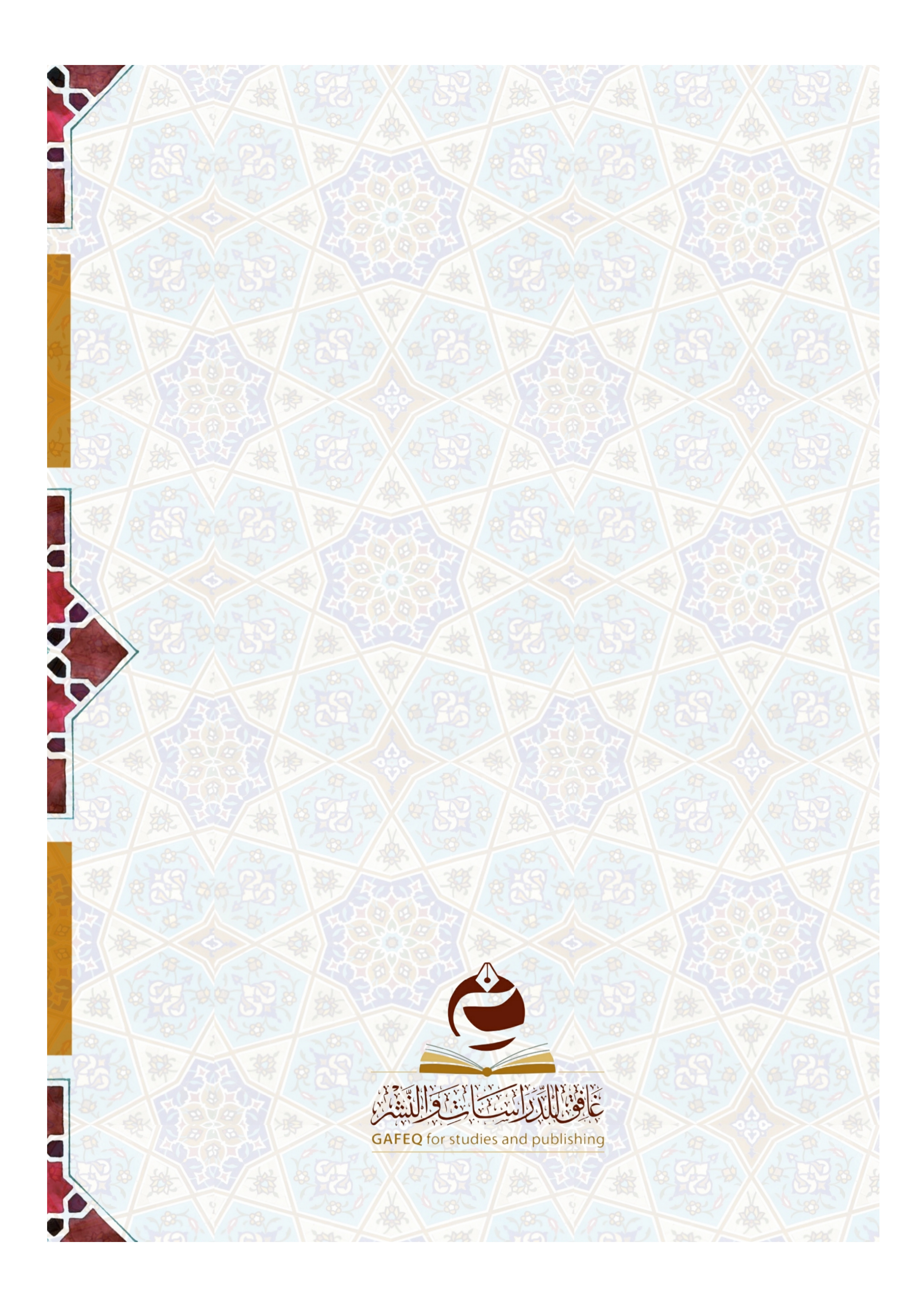
(مشارعِ): طرق. (سَهْلٍ): السهل: أَرض منبسطة لَا تبلغ الهضبة.

يقول: كما أختم هذه المنظومة أيضًا بالصلاة على نبينا محمد الذي هو سيد الهداة إلى طرق الخير القولية والفعلية، وأصلي كذلك على آل رسول الله الأطهار، وصحابته الأبرار، وجميع التابعين لهم بإحسان صلاةً مستمرة ما بقي الصبح يشرق بنوره على السهول والجبال.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات


غافق للدراسات والنشر
GAFEQ for studies and publishing